موسوعة الأخلاق

الجزء الحادي عشر

الفِرَاسَة - الفَصَاحَة - الفِطْنَة والذَّكَاء

القَنَاعَة - كِتْمَان السِّرِّ

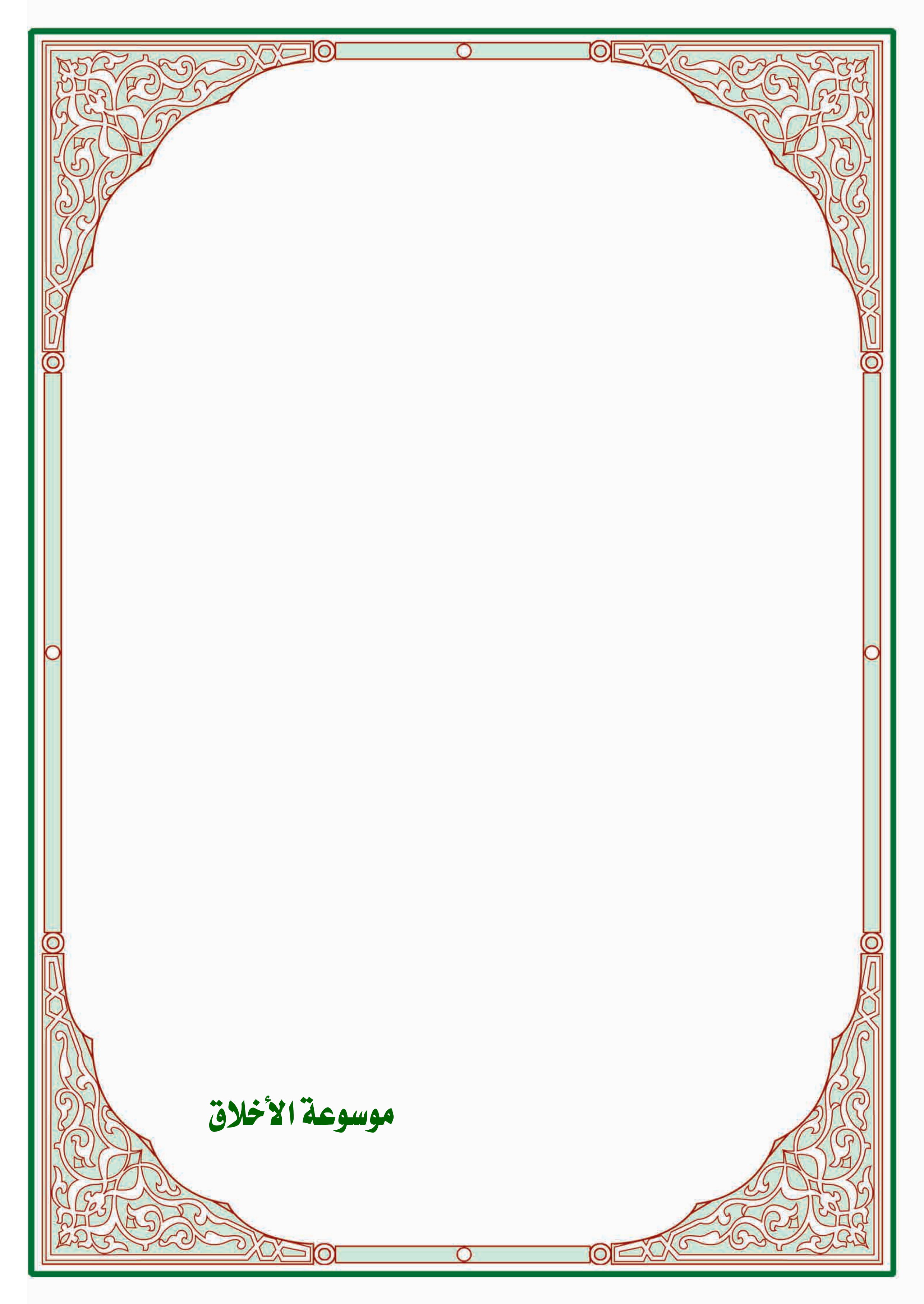
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبد القادر السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق

موسوعة الأخلاق

الجزء الحادي عشر

الفِرَاسَة - الفَصَاحَة - الفِطْنَة والذَّكَاء

القَنَاعَة - كِتْمَان السِّرِّ

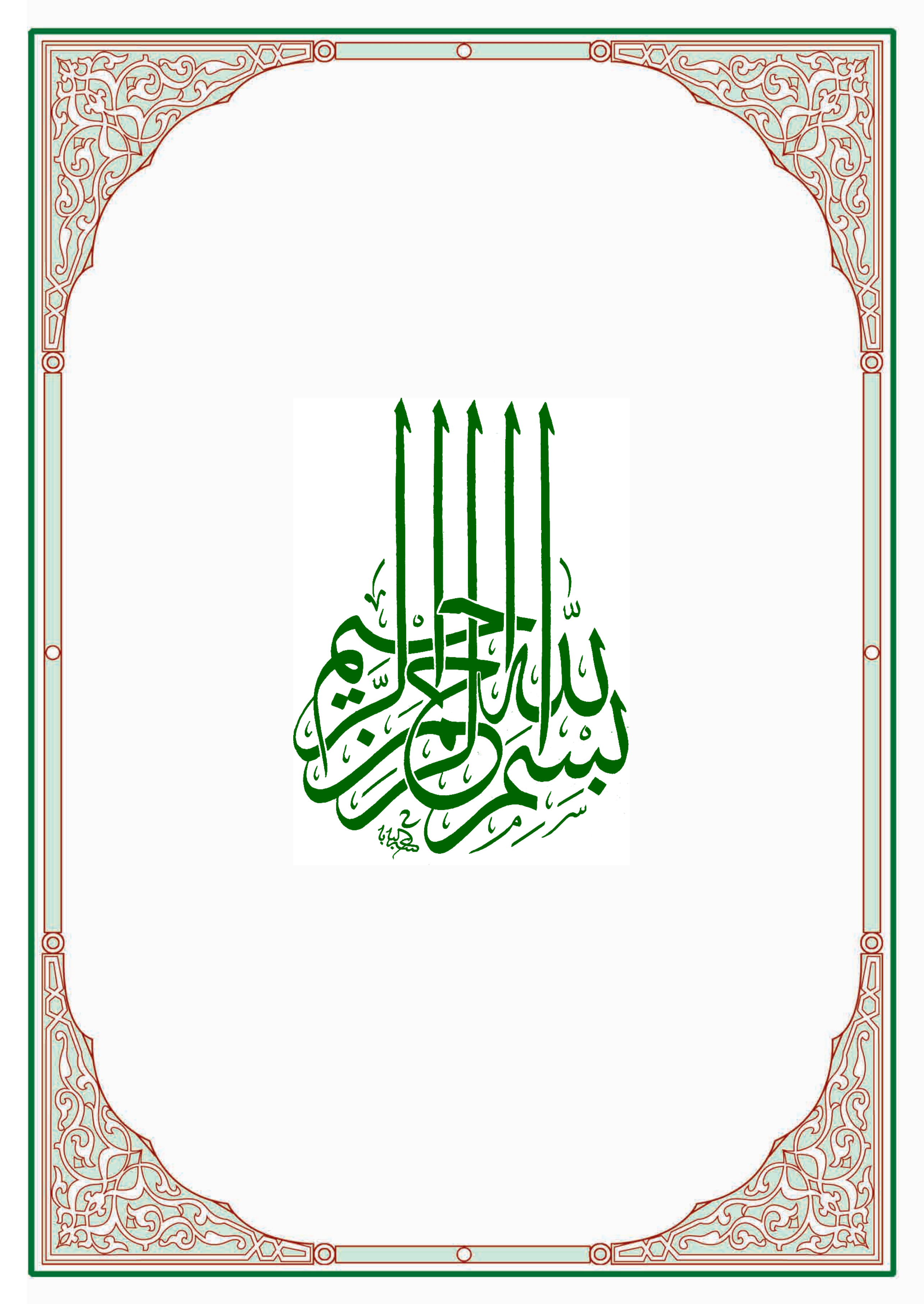
إعداد

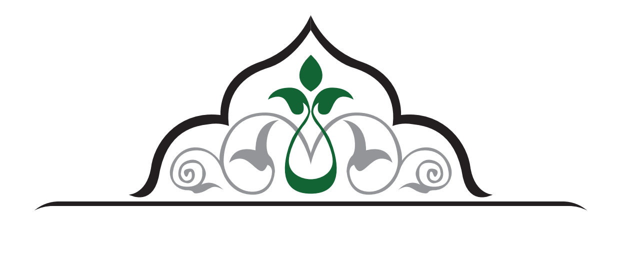
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف




بسم الله الرحمن الرحيم



الفِرَاسَة



الفِرَاسَة

معنى الفِرَاسَة لغةً واصطلاحًا:

• معنى الفِرَاسَة لغةً:

الفِراسة مصدرٌ، من قولك: تَفرَّس، يتَفَرَّس فِرَاسَة، وهي بمعنى: التَّثبُّت والنَّظر، ومنه: تَفَرَّسْت فيه خَيْرًا. أي: تَعَرَّفْته بالظَّنِّ الصَّائب. وهو يَتَفَرَّسُ، أي: يَتَثَبَّت وينْظر. تقول منه: رجل فارِس النَّظَر، وفارِسٌ بذلك الأمر، إذا كان عالمًا به[1].

• معنى الفِرَاسَة اصطلاحًا:

قيل: هو عِلْمٌ تُتَعرَّف منه أخلاق الإنسان: من هيئته ومزاجه وتوابعه، وحاصله الاستدلال بالخَلْق الظَّاهر على الخُلق الباطن[2].

وقيل: الفِرَاسَة هي الاستدلال بالأمور الظَّاهرة على الأمور الخفيَّة[3].

الفرق بين الفِرَاسَة وغيرها من الصِّفات:

• الفرق بين الفِرَاسَة وسوء الظَّنِّ:

قال أبو طالب المكي: (الفرق بين الفِرَاسَة وسوء الظَّنِّ: أنَّ الفِرَاسَة ما توسَّمته من أخيك بدليل يظهر لك، أو شاهد يبدو منه، أو علامة تشهدها فيه، فتتفَرَّس من ذلك فيه، ولا تنطق به إن كان سوءًا، ولا تُظْهره، ولا تحكم عليه، ولا تقطع به فتأثم.

---

(١) انظر: ((مختار الصِّحاح)) للرازي (ص ٢٣٧)، و((لسان العرب)) لابن منظور (٦/١٥٩)، و((المصباح المنير)) للفيومي (٢/٤٦٧)، و((التعريفات)) للجرجاني (ص ١٦٦)، و((تاج العروس)) للزبيدي (١٦/٣٢٨).

(٢) ((كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم)) للتهانوي (١/٥٦).

(٣) ((المصدر السابق)) (٢/١٢٦٥).

وسوء الظَّنِّ: ما ظننته من سوء رأيك فيه، أو لأجل حقد في نفسك عليه، أو لسوء نيَّة تكون، أو خُبْث حال فيك، تعرفها من نفسك، فتحمل حال أخيك عليها، وتقيسه بك، فهذا هو سوء الظَّنِّ والإثم، وهو غيبة القلب)[١].

• الفرق بين الفِرَاسَة والإلهام:

قال الملا علي القاري: (الفرق بين الإلهام والفِرَاسَة: أنَّها كشف الأمور الغيبيَّة بواسطة تفرُّس آثار الصُّور. والإلهام كشفها بلا واسطة)[٢].

• الفرق بين الفِرَاسَة والكَهَانَة:

الفِرَاسَة: غالبًا لا يَدَّعي صاحبها الغيب، بخلاف الكاهن؛ فإنَّه يدَّعي الغيب، ويفتخر بادِّعائه، بل وربَّما كَثُر مريدوه بسبب هذا الادِّعاء، وهذا بخلاف المتفرِّس، لا يدَّعي الغيب، فضلًا أن يفتخر به.

الكَهَانَة: لها مقدِّمات غالبًا غير مشروعة، وأما الفِرَاسَة فإنَّها تعتمد على مقدِّمات مشروعة[٣].

الفراسة في القرآن الكريم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥].

قال النَّسفي: (للمتفرِّسين المتأمِّلين، كأنَّهم يعرفون باطن الشَّيء بِسِمَةٍ ظاهرة)[٤].

---

(١) ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (٢/٣٧١).

(٢) ((مرقاة المفاتيح)) (١/٢٨٠).

(٣) ((مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد)) لعبد المنعم إبراهيم (٥/١٨٦٦).

(٤) ((مدارك التنزيل)) للنسفي (٢/١٩٦).

وقال ابن زيد في نفس الآية: (المتفكِّرون والمعتبرون، الذين يتوسَّمون الأشياء، ويتفكَّرون فيها ويعتبرون)[١].

وقال أبو المظفَّر السَّمعاني: (أي: للنَّاظرين المعتبرين. وقيل: للمتفرِّسين، وهم الذين يعلمون النَّاس [بسِيمَاهم] على ما يُرِيهم الله منها)[٢].

أقوال السَّلف والعلماء في الفِرَاسَة:

- قال أبو الدَّرداء: (اتَّقوا فِرَاسَة العلماء؛ فإنَّهم ينظرون بنور الله، إنَّه شيء يقذفه الله في قلوبهم، وعلى ألسنتهم)[٣].

- قال الشَّافعي: (خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفِراسة، حتى كتبتها وجمعتها)[٤].

- وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: (إذا جالستم أهل الصِّدق، فجالسوهم بالصِّدق؛ فإنَّهم جواسيس القلوب، يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تُحسُّون)[٥].

- وقال الهروي عن الفراسة: (هو استئناس حكم غيبٍ من غير اسْتِدْلَال بشَاهِد، ولا اختبار بتجربة)[٦].

- وقال أبو حفص النَّيسابوري: (ليس لأحد أن يدَّعي الفِرَاسَة. ولكن

(١) ((جامع البيان)) للطبري (١٤/٩٧).
(٢) ((تفسير السَّمعاني)) (٣/١٤٦).
(٣) رواه العسكري، كما قال السخاوي في ((المقاصد الحسنة)) (ص٥٩). وذكره ابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (٢/٨٥١).
(٤) ((آداب الشافعي ومناقبه)) لابن أبي حاتم الرازي (ص ٢٧).
(٥) ((المصدر السابق)) (٢/٣٨٩).
(٦) ((منازل السائرين)) للهروي (ص ٨٠).

يتَّقي الفِرَاسَة من الغير؛ لأنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اتَّقوا فِرَاسَة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله)). ولم يقل: تفرَّسوا. وكيف يصحُّ دعوى الفِرَاسَة لمن هو في محلِّ اتقاء الفِراسة؟!).

- وقال ابن القيِّم: (الفِراسة الإيمانيَّة... سببها نورٌ يقذفه الله في قلب عبده، يفرِّق به بين الحقِّ والباطل، والصَّادق والكاذب، وهذه الفِرَاسَة على حسب قوَّة الإيمان، وكان أبو بكر الصِّدِّيق أعظم الأمَّة فِرَاسَة)[1].

أقسام الفِرَاسَة:

قسمها ابن القيِّم إلى ثلاثة أقسام:

إيمانيَّة: وسببها: نورٌ يقذفه الله في قلب عبده، يفرِّق به بين الحقِّ والباطل، والحالي والعاطل، والصَّادق والكاذب.

وحقيقتها: أنَّها خاطر يهجم على القلب، ينفي ما يضادُّه. يَثِب على القلب كوُثُوب الأسد على الفريسة...

وهذه الفِرَاسَة على حسب قوَّة الإيمان. فمن كان أقوى إيمانًا، فهو أحدُّ فِرَاسَةً... وأصل هذا النَّوع من الفِرَاسَة: من الحياة والنُّور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطئ. قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] كان ميِّتًا بالكفر والجهل، فأحياه الله بالإيمان والعلم. وجعل له -بالقرآن والإيمان- نورًا يستضيء به في النَّاس على قَصْد السَّبيل. ويمشي به في الظُّلَم.

- **فِرَاسَة الرِّياضة والجوع، والسَّهر والتَّخلِّي**؛ فإنَّ النَّفس إذا تجرَّدت عن

---

(١) ((مدارج السَّالكين)) (٢/ ٤٥٣).

العوائق، صار لها من الفِرَاسَة والكشف بحسب تجرُّدها. وهذه فِرَاسَة مشتركة بين المؤمن والكافر. ولا تدلُّ على إيمان ولا على ولاية. وكثير من الجهَّال يغترُّ بها. وللرُّهبان فيها وقائع معلومة. وهي فِرَاسَة لا تكشف عن حقٍّ نافع. ولا عن طريق مستقيم. بل كشفها جزئي من جنس فِرَاسَة الولاة، وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

وللأطباء فِرَاسَة معروفة من حِذْقهم في صناعتهم. ومن أحبَّ الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم. وقريب من نصف الطِّبِّ فِرَاسَةٌ صادقةٌ، يقترن بها تجربة. والله سبحانه أعلم.

- **الفِرَاسَة الخَلْقية:** وهي التي صنَّف فيها الأطبَّاء وغيرهم. واستدلُّوا بالخَلْق على الخُلُق؛ لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله. كالاستدلال بصِغر الرَّأس -الخارج عن العادة- على صِغَر العقل. وبكبره، وبسعة الصَّدر، وبُعْد ما بين جانبيه: على سعة خُلُق صاحبه، واحتماله وبسْطته. وبضيقه على ضيقه. وبخمود العين وكَلَال نظرها على بَلَادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه. وبشدَّة بياضها مع إشْرَابه بحُمْرة -وهو الشَّكل- على شجاعته وإقدامه وفِطْنته. وبتدويرها مع حُمْرتها وكثرة تقلُّبها، على خيانته ومكره وخداعه.

ومعظم تعلُّق الفِرَاسَة بالعين. فإنَّها مرآة القلب، وعنوان ما فيه. ثمَّ باللِّسان. فإنَّه رسوله وترجمانه... وأصل هذه الفِرَاسَة: أنَّ اعتدال الخِلْقة والصُّورة، هو من اعتدال المِزاج والرُّوح. وعن اعتدالها يكون اعتدال الأَخْلَاق والأفعال، وبحسب انحراف الخِلْقة والصُّورة عن الاعتدال، يقع الانحراف في الأخلاق والأعمال)[١].

(١) انظر: ((مدارج السَّالكين)) لابن القيِّم (٢/٤٥٣ - ٤٥٧)، بتصرُّف يسير.

صُوَر الفِرَاسَة:

١- فِرَاسَة تحسين الألفاظ: وهو جزء من الفِرَاسَة اعتنى به العلماء وغيرهم، ومن أمثلته: أنَّ الرَّشيد رأى في داره حزمة خَيْزُران، فقال لوزيره الفضل بن الرَّبيع: ما هذه؟ قال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يقل الخَيْزُران لموافقته لاسم أمِّه.

ونظير هذا أنَّ بعض الخلفاء سأل ولده -وفي يده مِسْوَاك- ما جَمْع هذا؟ قال: ضدُّ محاسنك، يا أمير المؤمنين. خشية أن يقول مساويك.

وخرج عمر رضي الله عنه يَعُسُّ المدينة باللَّيل، فرأى نارًا موقدةً في خِبَاء، فوقف، وقال: يا أهل الضَّوء. وكَرِه أن يقول يا أهل النَّار[١].

قيل للعبَّاس بن عبد المطَّلب: أيُّما أكبر، أنت أم النَّبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: هو أكبر منِّي، وأنا وُلدت قبله[٢].

٢- التَّأمُّل والنَّظر في عواقب الأمور ومآلاتها، سواءً في الفعل أو التَّرك، وهو أعظم مقصود في هذا الباب.

٣- ومنها توسُّم المعلِّم في طلَّابه لمعرفة قدراتهم الذِّهنيَّة والعلميَّة، ليعطي كلَّ شخص من الاهتمام بحسبه، قال الماوردي: (ينبغي أن يكون للعالم فِرَاسَة يتوسَّم بها المتعلِّم، ليعرف مَبْلغ طاقته، وقَدْر استحقاقه، ليعطيه ما يتحمَّله بذكائه، أو يَضْعُف عنه ببلادته، فإنَّه أروح للعالم، وأنجح للمتعلِّم)[٣].

---

(١) ذكره الخطابي في ((غريب الحديث)) (٥٢/٢).

(٢) رواه الطبراني، كما قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٧٣/٩)، والحاكم (٣٦٢/٣)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحيح.

(٣) ((أدب الدُّنْيا والدِّين)) للماوردي (ص ٨١).

٤- من الفِرَاسَة: معرفة حِيَل المجرمين، وطرائقهم، ودسائسهم في تدمير عقائد النَّاس وأخلاقهم.

٥- ومن صُوَرِها: فِرَاسَة القاضي في الخُصُوم، قال ابن فَرْحُون: (يُسْتَحبُّ للقاضي أن يستعمل الفِرَاسَة، ويراقب أحوال الخِصْمَين عند الإدلاء بالحجج ودعوى الحقوق، فإنْ توسَّم في أحد الخِصْمَين أنَّه أبْطَن شُبْهة، فليتلطَّف في الكشف والفحص عن حقيقة ما توهَّم فيه)[1].

نماذج للفِرَاسَة:

- **نماذج من الصَّحابة:**

فِرَاسَة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

رُوِي عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: أنَّه دخل عليه قوم من مَذْحِج فيهم الأشتر، فصعَّد عمر فيه النَّظر وصوَّبه، وقال: أيُّهم هذا؟ فقالوا: مالك ابن الحارث، فقال: ما له -قاتله الله- إنِّي لأرى للمسلمين منه يومًا عصيبًا. فكان منه في الفتنة ما كان[2].

فِرَاسَة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه:

وهذا عثمان بن عفَّان، دخل عليه رجل من الصَّحابة، وقد رأى امرأة في الطَّريق، فتأمَّل محاسنها، فقال له عثمان: يدخل عليَّ أحدكم، وأثر الزِّنا ظاهر على عينيه. فقلت: أوحيٌّ بعد رسول الله؟! فقال: لا، ولكن تَبْصِرة وبرهان، وفِرَاسَة صادقة[3].

---

(١) ((تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام)) لابن فَرْحُون (٢/١١٦).
(٢) ذكره القرطبي في ((تفسيره)) (١٠/٤٤).
(٣) انظر: ((الروح)) لابن القيِّم (ص ٢٤٠)، وذكره القشيري في ((الرسالة القشيرية)) (٢/٣٩٣).

فِرَاسَة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أَكْثَرَ رجلٌ الثَّناء على عليٍّ رضي الله عنه بلسان لا يوافقه القلب، فقال له: (أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك)[١].

فِرَاسَة السَّائب بن الأقرع:

أنَّ أبا موسى الأشعري وجَّه السَّائب بن الأقرع في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى مهرجا، بعد أن فتحها ودخل دار الهرمزان، بعد أن جمع السَّبي والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدَّار تصاوير فيها مثال ظبي، وهو مُشِير بإحدى يديه إلى الأرض، فقال السَّائب: لأمرٍ ما صُوِّر هذا الظَّبي هكذا، إنَّ له لشأنًا، فأمر بحفر الموضع الذي الإشارة إليه، فأفضى إلى موضع فيه حوض من رخام، فيه سفط[٢] جوهر، فأخذه السَّائب، وخرج به إلى عمر رضي الله عنه[٣].

- **نماذج من السَّلف والعلماء المتقدِّمين:**

فِرَاسَة الشَّافعي:

- قال محمَّد بن إدريس الشَّافعي: (خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفِرَاسَة، حتى كتبتها وجمعتها، ثمَّ لما حان انصرافي، مررت على رجل في طريقي وهو مُحْتَبٍ[٤] بفناء داره، أزرق العينين، ناتئ الجبهة[٥]، سِنَاط، فقلت له:

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنْيا في ((الصَّمت)) (ص٢٧٥)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٢/٥١٨).

(٢) السفط: الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/ ٣١٥).

(٣) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/١٤٩).

(٤) احتبى الشَّخصُ: جلس على أَلْيَتَيه وضمَّ فَخِذَيه وساقَيه إلى بطنه بذراعيه ليستند. ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (١/٤٤٠).

(٥) ناتئ الجبهة: أي مرتفعها. ((مرقاة المفاتيح)) لملا علي القاري (٩/٣٧٩٨).

هل من منزل؟ فقال: نعم. قال الشَّافعي: وهذا النَّعت أخبث ما يكون في الفِرَاسَة. فأنزلني، فرأيت أَكْرَم رجل، بَعَث إليَّ بعشاء وطِيب، وعلفٍ لدابَّتي، وفِرَاش ولحِاف، فجعلت أتقلَّب اللَّيل، أجمع ما أصنع بهذه الكتب؟ إذ رأيت هذا النَّعت في هذا الرَّجل، فرأيت أكرم رجل، فقلت: أرمي بهذه الكتب. فلمَّا أصبحت، قلت للغلام: أَسْرِج[1]، فأَسْرَج، فركبت ومررت عليه، وقلت له: إذا قدمت مكة، ومررت بذي طوى، فسل عن منزل محمَّد بن إدريس الشَّافعي. فقال لي الرَّجل: أمولى لأبيك أنا؟! قلت: لا. قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟! فقلت: لا. فقال: أين ما تكلَّفت لك البارحة؟ قلت: وما هو؟ قال: اشتريت لك طعامًا بدرهمين، وإدامًا بكذا، وعِطْرًا بثلاثة دراهم، وعَلَفًا لدابَّتك بدرهمين، وكِرَاء الفِراش، واللِّحاف درهمان. قال: قلت: يا غلام أعطه، فهل بقي من شيء؟ قال: كِرَاء المنزل؛ فإنِّي وسَّعت عليك، وضيَّقت على نفسي. قال الشَّافعي: فغَبِطت نفسي بتلك الكتب، فقلت له بعد ذلك: هل بقي من شيء؟ قال: امض، أخزاك الله، فما رأيت قطُّ شرًّا منك)[2].

- و(كان الشَّافعي ومحمد بن الحسن -رحمهما الله تعالى- في المسجد الحرام، فدخل رجل، فقال محمَّد بن الحسن: أتفرَّس أنَّه نجَّار، وقال الشَّافعي: أتفرَّس أنه حدَّاد. فسألاه، فقال: كنت قبل هذا حدَّادًا، والساعة أُنَجِّر)[3].

---

(١) أَسْرَج: السراج أوقده، وَالشَّيْء حسنه وزينه، وَالْفرس شدَّ عَلَيْهِ السرج. ((المعجم الوسيط)) (٤٢٥/١).

(٢) ((آداب الشافعي ومناقبه)) لأبي حاتم الرَّازي (٩٦ – ٩٧).

(٣) ((الرسالة القشيرية)) للقشيري (٣٨٧/٢).

فِرَاسَة إبراهيم الخواص:

- قال إبراهِيم الخَوَّاص: (كنت في الجَامِع، فأقبل شابٌّ طيِّب الرَّائحة، حَسن الوَجْه، حَسن الحُرْمَة، فقلت لأصحابنا: يقع لي أنَّه يَهُوديٌّ. فكلُّهم كَرِه ذلك، فخرجت، وخرج الشَّاب، ثمَّ رجع إليهم، فقال: إيش قال الشَّيخ؟ فاحتشموه، فألَحَّ عليهم، فقالوا: قال: إنَّك يَهُودِيٌّ. فجاء فأكبَّ على يدي، فأَسْلَم، فقلت: ما السَّبَب؟ فقال: نَجِد في كتَابنَا أنَّ الصِّدِّيق لا تخطئ فِرَاسَته. فقلت: أمتحن المسلمين، فتأمَّلتهم، فقلت: إنْ كان فيهم صدِّيق، ففي هذه الطَّائفة، فلَبِست عليكم، فلمَّا اطَّلع هذا الشَّيخ عليَّ، وتفَرَّسني، علمت أنَّه صدِّيق[١]).

- **نماذج من العلماء المعاصرين:**

فِرَاسَة الشَّيخ عبد العزيز بن باز:

- كان الشَّيخ عبد العزيز صاحب بصيرة نافذة، وفِرَاسَة حادَّة، يعرف ذلك جيِّدًا من عاشره وخالطه، وأخذ العلم على يديه. وممَّا يؤكِّد على فِرَاسَته، أنَّه يعرف الرِّجال وينزلهم منازلهم، فيعرف الجادَّ منهم في هدفه ومقصده من الدُّعاة وطلبة العلم، فيكرمهم أشدَّ الإكرام، ويقدِّمهم على من سواهم، ويخصُّهم بمزيد من التَّقدير، ويسأل عنهم وعن أحوالهم دائمًا، وله فِرَاسَة في معرفة رؤساء القبائل، والتَّفريق بين صالحهم وطالحهم، وله فِرَاسَة -أيضًا- في ما يعرض عليه من المسائل العويصة، والمشكلات العلميَّة؛ فتجده فيها متأمِّلًا

---

(١) ((الروح)) لابن القيِّم (٢٣٩-٢٤٠).

متمعِّنًا لها، تُقْرأ عليه عدَّة مرَّات، حتى يفكَّ عقدتها، ويحلَّ مشكِلَها، وله فِرَاسَة -أيضًا- في ما يتعلق بالإجابة عن أسئلة المستفتين، فهو دائمًا يرى الإيجاز ووضوح العبارة، ووصول المقصد، إن كان المستفتي عاميًّا من أهل البادية، وإن كان المستفتي طالب علم حريص على التَّرْجيح في المسألة، أطال النَّفَس في جوابه مع التَّعليلات وذِكْر أقوال أهل العلم، وتقديم الأرجح منها، وبيان الصَّواب بعبارات جامعة مانعة[١].

الفِرَاسَة في الأمثال والحِكَم:

١- من لم ينْتَفع بظنِّه، لم ينْتَفع بيقينه. يُضْرب في حَمْد الفِرَاسَة[٢].

٢- وقال محمَّد بن حرب: (صواب الظَّنِّ، الباب الأكبر من الفِرَاسَة)[٣].

٣- وقالوا: ولا بدَّ في باب البصر بجواهر الرِّجال من صِدْق الحسِّ، ومن صحَّة الفِرَاسَة، ومن الاستدلال في البعض على الكلِّ، كما استدلَّت بنت شُعيب- صلوات الله عليه- حين قضت لموسى -عليه السَّلام- بالأمانة والقوَّة، وهما الركنان اللَّذان تُبنى عليهما الوكالة[٤].

٤- و(كان ابن الزُّبير يقول: لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه.

٥- ويقال: من لم تعرفك غائبًا أذناه، لم تعرفك شاهدًا عيناه.

٦- وقيل: كما أنَّ الأبصار تنطبع فيها المشاهدات إذا سَلِمَت من صدأ

(١) موقع الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرَّسمي.
(٢) ((المستقصى في أمثال العرب)) للزَّمخشري (٢/ ٣٦٠).
(٣) ((البرصان والعرجان والعميان والحولان)) للجاحظ (ص ٣٢).
(٤) ((الرسائل الأدبية)) للجاحظ (ص ٢٣٢).

الآفات، فكذلك العقول مَرَايَا تنطبع فيها الغائبات، إذا سَلِمت من صدأ الشَّهوات)[١].

٧- (وأشار ابن عبَّاس على عليٍّ -رضي الله عنهم- بشيء، فلم يعمل به، ثمَّ ندم، فقال: ويح ابن عبَّاس، كأنَّما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق.

٨- يقال: أَلْمَعِيَّته أَلْمَعِيَّة[٢] ابن عبَّاس، وفراسته فِرَاسَة إياس)[٣].

٩- ويقال: فلان جاسوس القلوب. إذا كان حاذق[٤] الفِرَاسَة، وإنَّ له نظرة تهتك حجب الضَّمير، وتصيب مقاتل الغيب، وتنكشف لها مغيَّبات الصُّدور، ويقال: هذه فِرَاسَة ذات بصيرة. أي: صادقة[٥].

الفِرَاسَة في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعر:

ألا إنَّ عين المرء عنوان قلبه ... تخبِّر عن أسراره، شاء أم أبى[٦]

وقال ابن الرُّومي:

وخبيءُ الفؤادِ يعلمُه العا ... قلُ قبلَ السَّماع بالإيماءِ

وظنونُ الذكيِّ أنفذُ في الحقِّ ... سهامًا من رُؤيَةِ الأغبياءِ[٧]

---

(١) ((روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)) للأماسي (ص ٩٨).

(٢) ألمعية: مصدر صناعي من أَلْمَعُ: ذكاء مُفرط ونجابة. ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (٢٠٣٧/٣).

(٣) ((روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)) للأماسي (ص ٩٩).

(٤) الحاذق: هو الماهر، والحذاقة: المهارة في كل عمل. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٤٠/١٠).

(٥) ((نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد)) (٢٠٧/٢) .

(٦) ((روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)) للأماسي (ص ٩٩).

(٧) ((ديوان ابن الرومي)) (٦٠/١)، ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (١٨٠/١).

وقال آخر:

لا تسألِ المرءَ عن خلائقِه   في وجهِه شاهدٌ مِن الخبرِ[١]

وقال البحتري:

وإذا صحَّت الرويَّة يومًا   فسواء ظنٌّ امرئٍ وعيانُه[٢]

ومن الفِرَاسَة قول عمرو بن مرَّة العبدي:

إذا ما الظَّنُّ أكذبَ في أُناسٍ   رميتُ بصدقِه سترَ الغيوبِ[٣]

وقال الشَّاعر:

وشاعت الحِكْمةُ عن لقمان   وهكذا الخطبةُ عن سَحْبَان

واشتهرت فِرَاسَةُ الأفراس   عن عامرٍ والحِذْقُ عن إياس[٤]

وقال آخر:

وإذا اعتراك الوهمُ في حالِ امرئٍ   فأردتَ تعرفُ خيرَه من شرِّه

فاسألْ ضميرَك عن ضميرِ فؤادِه   يُنْبِيك سرُّك بالذي في سرِّه[٥]



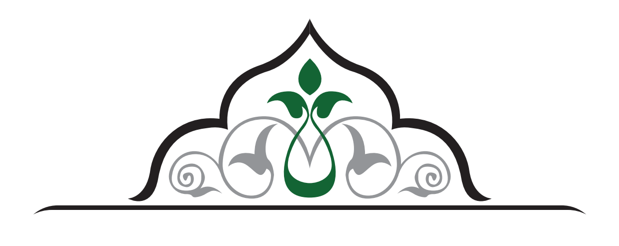
(١) ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (١/١٨٠).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون (٨/٢٠).

(٤) ((مجمع البحرين)) لليازجي (ص ٩٤).

(٥) ((فيض القدير)) للمناوي (١/٢٤٨).



الفَصَاحَة



الفَصَاحة

معنى الفَصَاحة لغةً واصطلاحًا:

• معنى الفَصَاحة لغةً:

الفَصَاحة هي الإِبَانَة والظُّهور، يقال: أفْصَحَ الصُّبح، إذا بدا ضوؤه. وكلُّ وَاضِحٍ: مُفْصِحٌ. ورجلٌ فَصِيح وكلامٌ فَصِيح، أي: بَلِيغ. ولِسَانٌ فَصِيح، أي: طَلْقٌ. ويقال: كلُّ ناطقٍ فَصِيح، وما لا ينطِقُ فهو أَعْجَمُ. وفَصُحَ الْأَعْجَم، تكلَّم بالعَرَبِيَّة وفُهِم عنه. وأفْصَحَ، تكلَّم بالفَصَاحة. وفَصُحَ الرَّجل وتَفَصَّحَ: إذا كَانَ عَرَبِيَّ اللِّسان فازداد فَصَاحة[١]. وأصل هذه المادة يدلُّ على خُلوصٍ في شيءٍ، ونقاء من الشَّوب[٢].

• معنى الفَصَاحة اصطلاحًا:

قال الجرجاني: (وهي -أي الفَصَاحة- في المفرد: خُلُوصه من تَنَافر الحروف والغَرَابة ومُخَالفة القِياس، وفي الكلام: خُلُوصه من ضعف التَّأليف، وتَنَافُر الكلمات مع فَصَاحَتها،... وفي المتكلِّم: مَلَكَةٌ يقتدر بها على التَّعبير عن المقصود بلفظ فَصِيح)[٣].

وقال الرَّازي: (الفَصَاحة خُلُوص الكلام من التَّعقيد)[٤].

وقيل: (الفَصَاحة عبارة عن الألفاظ البيِّنة الظَّاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأْنُوسة الاستعمال بين الكُتَّاب والشُّعراء لمكان حُسْنِها... وفَصَاحة الكلام:

(١) انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٢٤٠)، و((الصحاح)) للجوهري (١/٣٩١)، و((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٣/١٦٤).

(٢) انظر: ((معجم مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٥٠٦).

(٣) ((التعريفات)) (ص ١٦٧).

(٤) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٥٠).

سلامته بعد فَصَاحة مفُرداته ممَّا يُبهم معناه، ويَحُول دون المراد منه)[١].

اختلاف النَّاس في معنى الفَصَاحة:

(وقد اختلف النَّاس في الفَصَاحة: فمنهم من قال: أنَّها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، ومنهم من قال: إنَّها لا تَخُصُّ الألفاظ وحدها... والذي أراه في ذلك أنَّ الفَصِيح هو اللَّفظ الحَسَن، المألوف في الاستعمال، بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحًا حسنًا)[٢].

الفرق بين الفَصَاحة والبلاغة والبَيَان والبَرَاعة:

قال الهاشمي: (يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني، وجمع من المتقدِّمين، أنَّ الفَصَاحة والبَلَاغة والبَيَان والبَرَاعة ألفاظ مترادفة، لا تتَّصف بها المفردات، وإنَّما يُوصَف بها الكلام بعد تحرِّي معاني النَّحو فيما بين الكَلِم حَسَب الأغراض التي يُصَاغ لها.

وقال أبو هلال العسكري في كتاب (الصناعتين): (الفَصَاحة والبَلَاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإنْ اختلف أصلهما؛ لأنَّ كلَّ واحد منهما إنَّما هو الإبانة عن المعنى، والإظهار له. وقال الرَّازي في (نهاية الإيجاز): وأكثر البلغاء لا يكادون يفرِّقون بين الفَصَاحة والبَلَاغة. وقال الجوهري في كتابه (الصحاح): الفَصَاحة هي البَلَاغة)[٣].

وأمَّا من يذهب إلى التفريق بين الفصاحة والبلاغة فيرى (أنَّ الفَصَاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبَلَاغة لا تكون إلَّا وصفًا للألفاظ مع المعاني. لا يقال في كلمة واحدة -لا تدل على معنى يَفْضُل عن مثلها- بَلِيغة، وإن

---

(١) ((جواهر البلاغة)) للهاشمي (١٩-٣٢).
(٢) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٥١).
(٣) ((جواهر البلاغة)) للهاشمي (ص ١٧).

قيل فيها أنَّها فَصِيحة. وكلُّ كلام بَلِيغ فَصِيح، وليس كلُّ فَصِيح بَلِيغًا، كالذي يقع فيه الإسْهَاب في غير موضعه)[١].

كذلك من وجوه التفريق بينهما عند أصحاب هذا القول أنَّ (البَلَاغة هي: أن يبلغ المتكلِّم بعبارته كُنْه مراده، مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة من غير إملال. والفَصَاحة خُلُوص الكلام من التَّعقيد. وقيل: البَلَاغة في المعاني، والفَصَاحة في الألفاظ، فيقال: لفظ فَصِيح ومعنى بَلِيغ. والفَصَاحة خاصَّة تقع في المفرد، يقال: كلمة فَصِيحة، ولا يقال: كلمة بَلِيغة، وأنت تريد المفرد، فإنَّه يقال للقصيدة كلمة، كما قالوا: كلمة لبيد. ففَصَاحة المفرد خُلُوصه من تَنَافر الحروف، والفَصَاحة أعمُّ من البَلَاغة؛ لأنَّ الفَصَاحة تكون صِفةٌ للكلمة والكلام، يقال: كلمة فَصِيحة، وكلام فَصِيح. والبَلَاغة لا يُوصف بها إلَّا الكلام، فيقال: كلام بَلِيغ، ولا يقال: كلمة بَلِيغة. واشتركا في وصف المتكلِّم بهما، فيقال: متكلِّم فَصِيح بَلِيغ)[٢].

الفَصَاحة في الكتاب والسنة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرَّحمن: ١-٤].

قال الزَّمخشري: (ثمَّ ذكر ما تميَّز به من سائر الحيوان من البَيَان، وهو المنطق الفَصِيح المعرب عمَّا في الضمير)[٣].

(١) ((سر الفصاحة)) للخفاجي (ص ٥٩).
(٢) ((خزانة الأدب وغاية الأرب)) لابن حجَّة الحموي (٢/٤١٤).
(٣) ((الكشاف)) للزمخشري (٤/٤٤٣).

وقال ابن عطية: (البَيان النُّطق والفهم والإبانة عن ذلك بقول. قاله ابن زيد والجمهور، وذلك هو الذي فضَّل الإنسان من سائر الحيوان)[١].

وقال السمرقندي: (عَلَّمَهُ البَيَان يعني: الكلام. ويقال: يعني: الفَصَاحة. ويقال: الفهم)[٢].

- وقال الله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السَّلام: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٤-٣٥].

قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾. أي: (أحسن بيانًا عما يريد أن يبينه ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ يقول: عونا ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾: أي يبين لهم عني ما أخاطبهم به)[٣].

- وقال أيضًا على لسانه: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨].

قال الشَّافعي: (الفَصَاحة إذا استعملتها في الطَّاعة أشفى وأكفى في البيَان، وأبلغ في الإعذار، لذلك دعا موسى ربَّه، فقال: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ لما عَلِم أنَّ الفَصَاحة أبلغُ في البيَان)[٤].

وقال ابن المظفَّر الرَّازي: (طلب زيادة الفَصَاحة في تبليغ الرسالة)[٥].

---

(١) ((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) لابن عطية (٥/٢٢٣).
(٢) ((تفسير بحر العلوم)) للسمرقندي (٣/ ٣٧٨).
(٣) ((جامع البيان)) للطبري (١٨/ ٢٤٩).
(٤) ((تفسير الإمام الشافعي)) (٣/ ١٠٧٠).
(٥) ((مباحث التفسير)) (ص ٢١٣).

وقال السعدي: (أنَّ الفَصَاحة والبَيَان مما يعين على التَّعليم، وعلى إقامة الدَّعوة، لهذا طَلَب موسى من ربِّه أن يحلَّ عقدة من لسانه؛ ليفقهوا قوله، وأنَّ اللُّثْغة[١] لا عيب فيها إذا حصل الفهم للكلام...)[٢].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبَويَّة

- عن عبد الله بن عمر، قال: قدم رجلان من المشْرق فخطبا فعجب النَّاس لبَيَانِهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من البَيَان لسِحْرًا، أو: إنَّ بعْضَ البَيَان لسِحْرٌ)[٣].

والمراد بالبيان (اجتماع الفَصَاحة والبَلَاغة وذكاء القلب مع اللِّسان، وإنَّما شُبِّه بالسِّحر لحِدَّة عمله في سامعه، وسرعة قبول القلب له، يُضْرب في استحسان المنطق، وإيراد الحجَّة البالغة)[٤].

ونقل أبو هلال العسكري عن عسل بن ذكوان، أنَّه قال: (قال أبو عبد الرَّحمن: أَذَمَّ البَيَان أمْ مَدَحه؟ فما أبان أحد بشيء، فقال: ذمَّه؛ لأن السِّحر تمويه، فقال: إنَّ من البَيَان ما يُمَوِّه الباطل، حتى يُشَبِّهه بالحقِّ، وقال غيره: بل مَدَحه؛ لأنَّ البَيَان من الفهم والذَّكاء.

قال أبو هلال: الصَّحيح أنَّه مَدَحه، وتسميته إياه سِحْرًا، إنَّما هو على جهة التَّعجب منه، لأنَّه لما ذمَّ عمرو الزبرقان، ومدحه في حالة واحدة، وصدق في مدحه وذمِّه فيما ذَكَر، عجب النَّبي صلى الله عليه وسلم كما يعجب من

(١) اللثغة: أن تعدل الحرف إلى حرف غيره. والألثغ: الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء. ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/٤٤٨).

(٢) ((تيسير اللطيف المنان)) للسعدي (١/ ٢٣٥).

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٧).

(٤) ((عون المعبود)) للعظيم آبادي (١٣/ ٢٤٠).

السِّحر، فسمَّاه سحرًا من هذا الوجه)[١].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعطيت جوامع الكلم))[٢].

فوائد الفَصَاحة المحمودة:

١- الفصاحة من وسائل تبليغ الدين:

الفصاحة وسيلة مهمة من وسائل تبليغ دين الله تبارك وتعالى، لذا طلب موسى عليه السَّلام من ربِّه أن يمدَّه بأخيه هارون عليه السَّلام وعلَّل ذلك بكونه أفصح منه لسانًا. فصاحب اللِّسان الفَصِيح يقدر على إبلاغ حجَّته للنَّاس، وإيصال الحقِّ لهم.

٢- القدرة على الدِّفاع عن الحقوق:

الفَصِيح أقدر وأجدر في الدِّفاع عن حقِّه، وانتزاعه من المعتدين، وذلك إذا كان الميدان ميدان حِجَاج وكلام. وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذمَّ من كانت بلاغته وبيانه سببًا في أن يقضى له بما ليس له بحق، فلا شك أنَّ هذه الفصاحة والبلاغة إذا أدت إلى الوصول للحق تكون حينئذ محمودة، وإلا كانت مذمومة.

قال المناوي في شرح حديث: ((ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض))[٣]، قال: (ألْحَن- بفتح الحاء-: الفَطانَة، أي: أبْلغ وأفْصح، وأعلم في تقرير مقصوده، وأفْطن ببيان دليله، وأقدر على البَرْهنة على دفع دعوى

---

(١) ((جمهرة الأمثال)) لأبي هلال العسكري (١/ ١٤).

(٢) رواه مسلم (٥٢٣).

(٣) البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).

خصمه، بحيث يُظنُّ أنَّ الحقَّ معه)[١].

٣- الفصاحة من وسائل التأثير في المستمع:

ومن فوائد الفَصَاحة أنَّها تدعو السَّامع للعمل بالكلام الذي يسمعه، قال ابن عثيمين: (أنَّه ينبغي صياغة الكلام بما يحمل على العمل به، لأنَّ من الفَصَاحة، صياغة الكلام بما يحمل على العمل به)[٢].

ذو الفَصَاحة يستطيع تمثيل المسلمين في المحافل والاجتماعات دون خوف أو خجل، ويستطيع أن يتكلَّم بما يُمْلِيه عليه دينه. ويكون صاحب كلمة مسموعة، تهفو إليه الأرواح، وتَشْرَئِبُّ إليه الأعناق[٣]، وتتطلع إليه قلوب المؤمنين إذا تكلَّم أو خطب، فيكون حاله كما قال سحبان:

لقد علم الحي اليمانون أنَّني إذا قلت أمَّا بعد أنِّي خطيبها

٤- الفصاحة وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن:

يقول أبو هلال العسكري: (أنَّ أحقَّ العلوم بالتعلُّم، وأولاها بالتحفُّظ- بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه- علم البَلَاغة، ومعرفة الفَصَاحة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى، النَّاطق بالحقِّ، الهادي إلى سبيل الرَّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحَّة النُّبوَّة، التي رفعت أعلام الحقِّ، وأقامت منار الدِّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حُجُب الشكِّ بيقينها. وقد علمنا أنَّ الإنسان إذا أغفل علم البَلَاغة، وأخلَّ بمعرفة الفَصَاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصَّه الله به من حُسْن التأليف، وبراعة التَّركيب،

(١) ((فيض القدير)) (٢/٥٦٤).

(٢) ((شرح الأربعين النووية)) (ص ١٦٤).

(٣) تَشْرَئِبُّ: اشرأب ارتفع وعلا؛ وكل رافع رأسه: مشرئب. ((لسان العرب)) لابن منظور (٤٩٣/١).

وما شَحَنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللَّطيف؛ وضمَّنَه من الحلاوة، وجلَّله من رَوْنَق الطَّلاوة، مع سهولة كَلِمِه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيَّرت عقولهم فيها...[1].

أقسام الفَصَاحة:

الفَصَاحة قسمان:

١- (راجعٌ على المعنى، وهو خُلُوص الكلام عن التَّعقيد... وهو أن يُعَثِّر صاحبه فكرَك في مُتَصَرَّفه، ويَشِيك طريقك على المعنى، ويُوعِر مذهبك نحوه، حتى يُقَسِّم فكرك، ويشعِّب ظنَّك على أن لا تدري من أين تتوصَّل، وبأيِّ طريق معناه يتحصَّل.

٢- وراجعٌ على اللَّفظ، وهو أن تكون الكلمة عربيَّة أصليَّة، وعلامة ذلك: أن تكون على أَلْسِنة الفُصَحاء من العرب -الموثوق بعربيَّتهم- أَدْور، واستعمالهم لها أكثر، لا ممَّا أحدثها المولدون، ولا ممَّا أخطأت فيه العامَّة، وأن تكون أَجْرَى على قوانين اللُّغة، وأن تكون سليمة عن التَّنافر)[2].

الوسائل المعينة على اكتساب الفَصَاحة:

١- الإكثار من قراءة القرآن وحفظه، فهو أفصح كلام وأكمله، ومِنْ أكثر من قراءة القرآن انطلق لسانه فَصَاحةً، واكتسى كلامه عذوبة، وتزيَّنت عباراته بالبَلَاغة.

٢- حِفْظ أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم والإكثار من قراءتها، فهو أفصح النَّاطقين بالضَّاد قاطبة.

---

(١) ((الصناعتين: الكتابة والشعر)) (١-٢).

(٢) ((مفتاح العلوم)) للسكاكي (ص ٤١٦).

٣- تعلُّم النَّحو وقواعد العربيَّة، والبعد عن اللَّحن في الكلام.

٤- تعلُّم علم البَلَاغة وقواعده من معان وبيان وبَدِيع، ومحاولة استخدامه أثناء الكتابة أو الكلام.

٥- مُجَالسة الفُصَحَاء ومُعَاشرتهم، وهذا من أفضل طرق اكتساب الفَصَاحة والبَيان، فإنَّ الجليس يأخذ من أخلاق وطِبَاع جليسه حتى في كلامه.

٦- الإكثار من قراءة كتب الأدب ودووابن العربيَّة، والاهتمام بها، فإنَّ ذلك يعطي المرء مَلَكَة لغويَّة تُمَكِّنه من التَّحدُّث بطلاقة، والكلام بفَصاحة.

٧- محاولة انتقاء الكلام وتخيُّر مَحَاسنه عند الحديث، وتَجَنُّب المرْذُول منه والقبيح، الذي تَنْبُو عنه الأسماع، وتستقبحه النُّفوس والطبِّاع السَّليمة.

نماذج في الفصاحة:

• نماذج من فصاحة النَّبي صلى الله عليه وسلم:

قال السيوطي: (أفصحُ الخَلْق على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب ربِّ العالمين جلَّ وعلا)[١].

و(قال الخطابي: ... ومن فَصَاحَته أنَّه تكلَّم بألفاظ اقتضبها، لم تُسْمع من العرب قبله، ولم توجد في متقَدِّمِ كلامها، كقوله: مات حَتْفَ أنفه[٢]، وحَمِي الوَطِيس، ولا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين)[٣].

(١) ((المزهر في علوم اللغة وأنواعها)) (١/ ١٦٥).

(٢) مات حَتْفَ أنفه: إذا مات من غير قتل ولا ضرب. ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٦٦).

(٣) ((المزهر في علوم اللغة وأنواعها)) للسيوطي (١/ ١٦٥).

• نماذج من فصاحة الصَّحابة رضي الله عنهم:

فَصَاحة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه:

عن هشام بن عروة، قال عبيد الله، أظنُّه عن أبيه، قال: (لما وَلِيَ أبو بكر، خطب النَّاس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعد، أيُّها النَّاس، قد وُلِّيت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم السُّنن فعَلَّمنا فعَلِمنا. اعلموا أنَّ أَكْيَس الكَيْس: التَّقوى، وأنَّ أَحْمَق الحُمْق: الفجور. وأنَّ أقواكم عندي الضَّعيف، حتى آخذ له بحقِّه، وأنَّ أضعفكم عندي القويُّ، حتى آخذ منه الحقَّ. أيُّها النَّاس، إنَّما أنا متَّبع ولست بمبتدع. فإنْ أحسنت فأعينوني، وإنْ زِغْتُ فقوِّموني)[1].

فَصَاحة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه:

خطب عمر رضي الله عنه فقال بعد ما حمد الله، وأثنى عليه، وصلَّى على النَّبي صلى الله عليه وسلم: (أيها النَّاس، إنَّ بعض الطَّمع فَقْر، وإنَّ بعض اليأس غِنى، وإنَّكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجَّلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تُؤْخَذون بالوحي، فمن أَسَرَّ شيئًا، أُخِذ بسريرته، ومن أعلن شيئًا، أُخِذ بعلانيته، فأَظْهِروا لنا أَحْسَن أخلاقكم، والله أعلم بالسَّرائر، فإنَّه مَنْ أَظْهَر شيئًا، وزعم أنَّ سريرته حسنة، لم نصدِّقه، ومن أَظْهَر لنا علانية حسنة، ظننَّا به حسنًا، واعلموا أنَّ بعض الشُّح شُعبة من النِّفاق، فأنفقوا خيرًا لأنفسكم، ومن يُوق شحَّ نفسه،

---

(١) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (١٨٢/٣).

فأولئك هم المفلحون. أيُّها النَّاس، أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتَّقوا الله ربَّكم، ولا تلبسوا نساءكم القَبَاطي[١]، فإنَّه إن لم يَشِفَّ فإنَّه يَصِف. أيُّها النَّاس، إنِّي لوددت أن أنجو كفافًا[٢]، لا لي ولا عليَّ، وإنِّي لأرجو إنْ عُمِّرت فيكم يسيرًا أو كثيرًا، أنْ أعمل بالحقِّ فيكم -إن شاء الله-، وألَّا يبقى أحد من المسلمين -وإن كان في بيته- إلَّا أتاه حقُّه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه يومًا. وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولَقَليل في رِفْق، خيرٌ من كثير في عُنْف، والقتل حَتْف من الحُتُوف، يصيب البرَّ والفاجر، والشَّهيد من احتسب نفسه. وإذا أراد أحدكم بعيرًا فليعمد إلى الطَّويل العظيم فليضربه بعصاه، فإنْ وجده حديد الفؤاد فليشتره)[٣].

فَصَاحة عائشة رضي الله عنها:

كانت عائشة رضي الله عنها على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة، فعن معاوية قال: (ما رأيت خطيبًا قطُّ أبلغ ولا أفصح من عائشة)[٤].

- وقال موسى بن طلحة: (ما رأيت أحدًا أفصح من عائشة)[٥].

---

(١) القباطي جمع القبطي: وهو ثوب رقيق من كتان يعمل بمصر نسبة إلى القبط. ((شرح الزرقاني على موطأ مالك)) (٢/٤٨٩).

(٢) كفافًا: أي مكفوفا عني شرها وخيرها. ((فتح الباري)) لابن حجر (١٣/٢٠٧).

(٣) ذكر بعضه الوراق في ((أنساب الأشراف)) (٣/٤١٠).

(٤) رواه الطبراني (٢٣/١٨٣) (١٩٢٥٢). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/٢٤٦): رجاله رجال الصحيح.

(٥) رواه الترمذي (٣٨٨٤)، و أحمد في ((فضائل الصحابة)) (٢/٨٧٦)، رقم (١٦٤٦)، والطبراني (٢٣/١٨٢) (١٩٢٤٦)، والحاكم (٤/١٢).

قال الترمذي: ((حسن صحيح غريب))، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/٢٤٦): رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

- وعن الأحنف بن قيس قال: (سمعت خطبة أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالبٍ رضي الله عنهم، والخلفاء هلم جرًّا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوقٍ أفخم ولا أحسن منه من في عائشة رضي الله عنها)[1].

- وحينما توفي أبوها قالت رضي الله عنها: (رحمك الله يا أبة! لقد قمتَ بالدين حين وهى شُعبه، وتفاقم صَدْعه، ورَحبت جوانبه، وبَغضتَ ما أصغوا إليه، وشمَّرتَ فيما وَنَوا عنه، واستخففتَ من دنياك ما استوطنوا، وصغَّرتَ منها ما عظَّموا، ولم تهضم دينك، ولم تنسَ غدك؛ ففاز عند المساهمة قَدَحك، وخفَّ مما استوزروا ظهرك، حتى قرَّرت الرؤوس على كواهلها، وحَقَنت الدماء في أُهُبها - يعني: في الأجساد -؛ فنضَّر الله وجهك يا أبة! فلقد كنت للدنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها، ولكأنَّ أجلَّ الرزايا بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلم رُزْؤك[2]، وأكبر المصائب فَقدك؛ فعليك سلام الله ورحمته، غير قاليةٍ لحياتك، ولا زاريةٍ على القضاء فيك)[3].

- **نماذج أخرى في الفصاحة:**

- قال الرَّبيع بن سليمان: (لو رأيت الشَّافعي وحُسْن بيانه وفَصَاحَته

---

(١) رواه الحاكم (٤/١٢) واللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) (٨/١٥٢٢)، رقم (٢٧٦٧)، والأثر في سنده أحمد بن سلمان الفقيه، وعلي بن عاصم، وهما صدوقان، والأخير ضعفه بعضهم. انظر: ((ميزان الاعتدال)) للذهبي (١/١٠١)، و((الكاشف)) (٢/٤٢)، و((تقريب التهذيب)) (ص ٤٠٣).

(٢) الرزء: المصيبة. انظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢/٢١٨).

(٣) رواه أبو بكر الدينوري في ((المجالسة وجواهر العلم)) (٦/٩٤)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٣٠/٤٤٣)، وأورده محب الدين الطبري في ((الرياض النضرة في مناقب العشرة)) (١/٢٦٥).

لعجبتَ، ولو أنَّه ألَّف الكتب على عربيَّته التي يتكلم بها في المناظرة، لم نقدر على كتبه لفَصَاحَته وغرائب ألفاظه، غير أنَّه في تأليفه يوضِّح للعوام)[1].

- دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء، وعنده كثيرٌ من أهل العلم، فأحبَّ الحسن أن يتكلَّم، فزجره، وقال: يا صبي تتكلَّم في هذا المقام؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت صبيًّا، فلست بأصغر من هدهد سليمان، ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السَّلام حين قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢]، ثمَّ قال: ألم تر أنَّ الله فهَّم الحُكْم سليمان، ولو كان الأمر بالكِبَر لكان داود أولى[2].

- وحُكي: أنَّ البادية قحطت في أيام هشام، فقدمت عليه العرب، فهابوا أن يكلِّموه، وكان فيهم دِرْواس بن حبيب، وهو ابن ستٍّ عشرة سنة، له ذُؤابة، وعليه شَمْلَتان، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ما شاء أحد أن يدخل عليَّ إلَّا دخل، حتى الصبيان، فوثب دِرْواس حتى وقف بين يديه مُطْرِقًا، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ للكلام نشْرًا وطَيًّا، وإنَّه لا يعرف ما في طيِّه إلا بنشْره، فإنْ أذن لي أمير المؤمنين أنْ أنشُره نشَرته. فأعجبه كلامه، وقال له: انشُره لله درُّك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّه أصابتنا سنون ثلاث، سنة أذابت الشَّحم، وسنة أكلت اللَّحم، وسنة دقَّت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإنْ كانت لله ففرِّقوها على عباده، وإنْ كانت لهم، فَعَلام تحبسونها عنهم، وإنْ

(١) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٠/ ٧٤).
(٢) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٥٦).

كانت لكم، فتصدَّقوا بها عليهم، فإنَّ الله يجزي المتَصدِّقين. فقال هشام: ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثَّلاث عذرًا، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار، وله بمائة ألف درهم، ثم قال له: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة في خاصَّة نفسي دون عامَّة المسلمين. فخرج من عنده وهو من أجلِّ القوم[١].

- قيل للرَّشيد: إنَّ عبد الملك بن صالح يعدُّ كلامه، ويفكر فيه، فلذلك بانت بلاغته، فأنكر ذلك الرَّشيد، وقال هو طَبعٌ فيه، ثمَّ أمسك، حتى جاء يومًا، ودخل عبدُ الملك، فقال للفضل بن الرَّبيع: إذا قَرُب من سريري، فقل له: وُلِد لأمير المؤمنين في هذه اللَّيلة ابنٌ، ومات له ابنٌ. فقال له الفضل ذلك، فدنا عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، سرَّك الله فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرَّك، وجعلها واحدة بواحدةٍ، ثواب الشَّاكرين، وأجر الصَّابرين. فلما خرج، قال الرَّشيد: أهذا الذي زعموا أنه يتصنع للكلام، ما رأى النَّاس أطبع من عبد الملك في الفَصَاحة قطُّ[٢].

أقوالٌ وأمثالٌ وحِكَمٌ في الفَصَاحة:

- قال محمَّد بن سيرين: (ما رأيت على رجل أجمل من فَصَاحة)[٣].

- وقال العاص بن عدي: (الشَّجَاعَة قلب رَكِين، والفَصَاحة لسان رَزِين)[٤].

- وقال يحي بن خالد: (ما رأيت رجلًا قطُّ إلا هبته حتى يتكلَّم، فإنْ كان

(١) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٥٦).
(٢) ((ديوان المعاني)) لأبي هلال العسكري (٢/١٧٣).
(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٢/٣٠٥).
(٤) ((الصناعتين: الكتابة والشِّعر)) لأبي هلال العسكري (ص ٩).

فَصِيحًا، عَظُم في صدري، وإنْ قصَّر سقط من عيني)[١].

- وقيل: (من عُرف بفَصَاحة اللِّسان، لحظته العيون بالوَقَار)[٢].

- وقال الخليفة المقتدي بأمر الله: (وَعْدُ الكُرَماء ألزم من ديون الغُرَماء، الألسن الفَصِيحة أنفع من الوجوه الصَّبيحة، والضَّمائر الصَّحيحة أَبْلَغ من الألسن الفَصِيحة. حقُّ الرَّعيَّة لازم للرُّعاة، ويقبح بالوُلاة الإقبال على السُّعاة)[٣].

- وقال خالد بن صفوان بن الأَهْتَم في فَصَاحة الكلام: (أحسن الكلام ما لم يكن بالبدويِّ المغْرِب، ولا بالقُرَوِيِّ المخَدَّجِ، ولكن ما شرُفت مَنَابِته، وطَرُفت معانيه، ولذَّ على الأفواه، وحَسُن في الأسماع، وازداد حسنًا على ممرِّ السِّنين، تُحَنْجِنه الدَّوَاة، وتَقْتَنيه السَّرَاة)[٤].

الفَصَاحة في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعر:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه　　فلم يبقَ إلَّا صورةُ اللَّحمِ والدَّمِ[٥]

ويقول شاعر آخر:

طويلُ القَنَاةِ قصيرُ العدات　　ذميمُ العداة حميدُ الشِّيم[٦]

فَصِيحُ اللِّسانِ بديعُ البنانِ　　رفيعُ السنانِ سريعُ القلم

(١) ((الصناعتين: الكتابة والشِّعر)) لأبي هلال العسكري (ص ٩).

(٢) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٥١).

(٣) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٨/ ٣٢٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٢٦).

(٥) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٥١).

(٦) الشيمة: الخُلُق، جمع شيم. ((المعجم الوسيط)) (١/ ٥٠٤).

يـكـيـلُ الــرِّجــالَ بـأقـدارِهـا ويرعَى البيوتـاتِ رعْـيَ الحرم[١]

وقال إبراهيم بن العبَّاس الصولي:

إذا ما الفكرُ أضمرَ حسنَ لفظٍ وأدَّاهُ الضميرُ إلى العيانِ
ووشَّاهُ ونمنمَهُ[٢] مُسَدٍّ فَصِيحٌ بالمقالِ وباللِّسانِ
رأيتَ حُلى البَيان منوَّراتٍ تضاحكُ بينها صُورَ المعاني[٣]

وقال ابن عبد البر: ما زالت العرب تمدح البَيان والفَصَاحة في أشعارها وأخبارها، فمِنْ ذلك قول حسَّان بن ثابت في ابن عبَّاس:

إذ قال لم يتركْ مقالًا لقائل بمنتظمات لا ترَى بينها فصلًا
كفَى وشفَى ما في النُّفوس فلم يدعْ لذي إرْبَة في القول جدًّا ولا هزلًا[٤]

ولعبد الله بن المبارك في مالك بن أنس:

صَموتٌ إذا ما الصَّمت زيَّن أهله وفتَّاقُ[٥] أبكارِ الكلام المختَّمِ[٦]
وَعَى ما وَعَى القرآن من كلِّ حِكْمة ونِيطَت لها الآداب باللَّحم والدَّمِ[٧]

قالت الخنساء:

كأنَّ كلامَ النَّاس جُمِّع حولَه فأطلق في إحسانه يتخيَّرُ[٨]

---

(١) ((يتيمة الدهر)) للثعالبي (٤/٢٥٩).
(٢) نمنمه: زخرفه ونقشه. ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٤/١١).
(٣) ((زهر الآداب وثمر الألباب)) لأبي إسحاق الحصري (٢/٥٦٢).
(٤) ((الأوراق قسم أخبار الشعراء)) للصولي (٢/٧٨).
(٥) فتَّاق: فتقت الشيء فتقا: شققته. وفَتَّقْتُهُ تَفْتيقًا مثله. ((الصحاح)) للجوهري (٤/١٥٣٩).
(٦) المختوم ضد المفتوح. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٨٨).
(٧) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/٨٨).
(٨) ((محاضرات الأدباء)) للراغب (١/٨٣).

وقال بكر بن سوادة في خالد بن صفوان:

عليمٌ بتنزيلِ الكلامِ مُلَقَّن ذَكُورٌ لما سدَّاه أولَ أولا

ترَى خطباءَ النَّاس يومَ ارتجالِه كأنَّهم الكِروان[1] عاينَ أَجْدَلَا[2]



(١) قال الجاحظ: (الكِروان: جمع كروان، وهو ذكر الحبارى) ((البيان والتبيين)) (١/٢٧٥).
وقال ابن منظور: (الكروان، بالتحريك: طائر ويدعى الحجل والقبج، وجمعه كِروان). ((لسان العرب)) (١٥/٢٢٠).

(٢) ((الاستذكار)) لابن عبد البر (٨/٥٥٩). الأجدل: الصقر. ((الصحاح)) للجوهري (٤/١٦٥٣)



الفِطْنَة والذَّكَاء



الفِطْنَة والذَّكاء

معنى الفِطْنَة لغةً واصطلاحًا:

- **معنى الفِطْنَة لغةً:**

أصل هذه المادة يدلُّ على ذكاءٍ وعلم بشيء. والفِطْنَة والفَطَانَة كالفهم، وهي ضِدُّ الغَباوة، ورجل فَطِنٌ: بَيِّنُ الفِطْنَة، وفَطُنَ -بالضم- إذا صارت الفَطَانَة له سجيَّة، ورجل فَطِنٌ بخصومته، عالم بوجوهها حاذق، ويتعدَّى بالتَّضعيف، فيقال: فَطَّنتُهُ للأمر[1].

- **معنى الفِطْنَة اصطلاحًا:**

قال العسكري: (الفِطْنَة: العلم بالشَّيء من وجه غامض)[2].

وقال الرَّاغب: (الفِطْنَة: سرعة إدراك ما يُقْصد إشكاله)[3].

وقال الكفوي: (الفِطْنَة: التَّنَبُّه للشَّيء الذي يُقْصد معرفته)[4].

معنى الذَّكاء لغةً واصطلاحًا:

- **معنى الذَّكاء لغةً:**

الذَّكاء: سُرْعة الفِطْنَة، مِنْ قولك: قلب ذَكِي وصَبِي ذكِي، إذا كان سريعَ الفِطْنَة، وقد ذَكِيَ -بالكسر- يَذْكَى ذَكًا. وَيُقَال: ذَكا يَذْكُو ذَكاءً، وذَكُوَ فهو ذَكِيٌّ[5].

---

(١) انظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٥١٠). و((الصِّحاح)) للجوهري (٨/٣٥). و((لسان العرب)) لابن منظور(١٣/٣٢٣). و((المصباح المنير)) للفيومي (٢/٤٧٧).

(٢) ((الفروق اللغوية)) (١/٨٥).

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ١٤٣).

(٤) ((الكليات)) (١/٤٥٦)، ومعه ((التَّعريفات)) للجرجاني (ص١٤٣).

(٥) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٤/٢٨٧).

• معنى الذَّكاء اصطلاحًا:

قال المناوي: (الذَّكاء: سرعة الإدراك، وحِدَّة الفهم[١]).[٢].

الفرق بين الفِطْنَة والذَّكاء:

قال العسكري: (الذَّكاء تمام الفِطْنَة، من قولك: ذَكَت النَّار إذا تمَّ اشتعالها، وسُمِّيت الشَّمس ذكاءً؛ لتمام نورها. والتَّذكية: تمام الذَّبح، ففي الذَّكاء معنى زائدٌ على الفِطْنَة)[٣].

قال الشَّاعر في الذَّكاء -الذي معناه تَمام الفِطْنَة-:

شهم الفؤادِ ذكاؤه ما مِثْلُهُ   عند العزيمةِ في الأَنامِ ذَكاءُ[٤]

الفرق بين الفِطْنَة والصِّفات الأخرى:

• الفرق بين الفِطْنَة، والعِلم، والحِذْق، والكَيْس:

قال العسكري: (الفِطْنَة: هي التَّنبُّه على المعنى، وضدُّها: الغفلة، ورجل مغفَّلٌ: لا فِطْنَة له. وهي الفِطْنَة والفَطَانَة، والطَّبانة مثلها، ورجل طَبِنٌ: فَطِنٌ. ويجوز أن يقال: إنَّ الفِطْنَة ابتداء المعْرِفة من وجه غامض، فكلُّ فِطْنَة علمٌ، وليس كلُّ علمٍ فِطْنَةً، ولما كانت الفِطْنَة عِلْمًا بالشَّيء من وجه غامض، لم يَجُز أن يقال: الإنسان فَطَن بوجود نفسه، وبأنَّ السَّماء فوقه)[٥].

---

(١) ((التوقيف على مهمات التعريف)) (ص ١٧١).

(٢) وقال الكفوي: (الذَّكاء: شدَّة قُوَّة النَّفس، مُعدَّةٌ لاكتساب الآراء بحسب اللُّغة.
وفي الاصطلاح: قد يُستعمل في الفَطَانَة، يقال: رجل ذَكِيٌّ، وفلان من الأَذْكِياء، يريدون به المبالغة في فَطَانَته، كقولهم: فلان شعلة نار) ((الكليات)) (١/٤٥٦).

(٣) ((الفروق اللغوية)) (١/٨٥).

(٤) ((الأذكياء)) لابن الجوزي (ص ١٢).

(٥) ((الفروق اللغوية)) (١/٨٥).

وأما (الكَيْس: هو سرعة الحركة في الأمور، والأخذ في ما يعني منها دون ما لا يعني، يقال: غلام كَيِّسٌ، إذا كان يُسْرِع الأَخْذ في ما يؤمر به، ويترك الفُضُول، وليس هو من قبيل العلوم. والحِذْق أصله: حِدَّة القَطع، يقال: حَذَقَه، إذا قطعه. وقولهم: حَذَقَ الصَّبيُّ القرآن، معناه: أنَّه بلغ آخره، وقطع تعلُّمه، وتناهى في حفظه. وكلُّ حَاذِق بصناعة، فهو الذي تناهى فيها، وقطع تعلُّمها، فلمَّا كان الله تعالى لا توصف معلوماته بالانقطاع، لم يَجُز أن يُوصف بالحِذْق)[1].

- **الفرق بين الفِطْنَة والنَّفاذ:**

قال العسكري: (أنَّ النَّفَاذ أصله في الذَّهاب، يقال: نَفَذ السَّهم، إذا ذَهَب في الرَّمِيَّة، ويُسمَّى الإنسان نافذًا، إذا كان فِكْره يبلغ حيث لا يبلغ فِكْر البَلِيد، ففي النَّفَاذ معنى زائد على الفِطْنَة، ولا يكاد الرَّجل يُسمَّى نافذًا، إلا إذا كَثُرت فِطْنَته للأشياء، ويكون خرَّاجًا ولَّاجًا في الأمور)[2].

الفِطْنَة في الكتاب والسُّنَّة:

أولًا: في القرآن الكريم

قال الله -تعالى-: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٨١].

---

(١) ((الفروق اللغوية)) لأبي الهلال العسكري (١/٨٥).
(٢) ((المصدر السابق)) (١/ ٨٦).

- عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال: كَرْمٌ قد أنبتت عَنَاقيده، فأفسدته. قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكَرْم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله! قال: وما ذاك؟ قال: تَدْفَع الكَرْم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكَرْم، فيصيب منها، حتى إذا كان الكَرْم كما كان، دفعت الكَرْم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[1].

- قرَأَ الحسن: (﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فحَمَد سليمان، ولم يَلُم داود، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين، لرأيت أنَّ القضاة هلكوا، فإنَّه أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده)[2].

- وقال ابن الجوزي: (كان لسليمان من الفِطْنَة ما بان بها الصَّواب في حُكْمه دون حُكْم أبيه في قصَّة الحرث وغيره، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾)[3].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاس، وقال: إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنْيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله

---

(١) ((تفسير ابن كثير)) (٥/٢٥٥).
(٢) البخاري (٩/٦٧).
(٣) ((التبصرة)) لابن الجوزي (١/٢٩٦).

صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أمنَّ النَّاس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا -غير ربِّي- لاتَّخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودَّته. لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر))[1].

قال ابن الجوزي: (هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِم أنَّ المخَيَّر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].

- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ من الشَّجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَل المسلم، فحدِّثوني ما هي؟ فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: هي النَّخلة. قال: فذكرت ذلك لعمر. قال: لأن تكون قلت: هي النَّخلة، أحبُّ إليَّ من كذا وكذا))[3].

- عن أمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّكم تختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضكم أَلْحَن بحجَّته من بعض، فمن قضيت له بحقِّ أخيه شيئًا، بقوله: فإنَّما أقطع له قطعة من النَّار فلا يأخذها))[4].

قال ابن القيِّم: (اللَّحن ضربان: صواب وخطأ. فلحن الصَّواب نوعان،

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢)، واللَّفظ للبخاري.

(٢) ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) لابن الجوزي (١٤٦/٣).

(٣) رواه البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١) واللَّفظ له.

(٤) البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).

أحدهما: الفِطْنَة. ومنه الحديث: ((ولعلَّ بعضكم أن يكون أَلْحَن بحجَّته من بعض))[1])[2].

وقال المناوي: (أَلْحَن -بفتح الحاء-: الفَطَانَة، أي: أَبْلغ وأَفْصح وأعلم في تقرير مقصوده، وأَفْطن ببيان دليله، وأقدر على البَرْهنة على دفع دعوى خصمه، بحيث يُظنُّ أنَّ الحقَّ معه، فهو كاذب، ويُحْتمل كونه من اللَّحن، وهو الصَّرْف عن الصَّواب، أي: يكون أَعْجز عن الإِعْرَاب بحجَّته من بعض)[3].

فوائد الفِطْنَة:

١- أنَّها تدلُّ العبد على حكم الله وسننه الشَّرعية والكونيَّة، فتبصِّره بها، كما أنَّها تدعوه إلى التَّفكر في آلاء الله، فيزداد خشوعًا لله وتعظيمًا له، وإيمانًا ويقينًا به.

قال علي رضي الله عنه: (اليقين على أربع شعب: تبصرة الفِطْنَة، وتأويل الحِكْمة، ومعرفة العبرة، وسنَّة الأولين، فمن تبصَّر الفِطْنَة، تأوَّل الحِكْمة، ومن تأوَّل الحِكْمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنَّما كان في الأوَّلين)[4].

٢- الفطنة من أسباب السلامة والخروج من المآزق.

٣- أنَّها تدعو إلى فعل صنائع المعروف، وتقديم الفضل إلى محتاجيه:

قال الأبشيهي: (يُستدلُّ على عقل الرَّجل بأمور متعدِّدة منها: ميله إلى

---

(١) رواه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).
(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٢/٤٥٢ و٤٥٣).
(٣) ((فيض القدير)) (٢/٥٦٤).
(٤) ((موضح أوهام الجمع والتفريق)) للخطيب البغدادي (١/٢١٤).

محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنُّبه ما يكسبه عارًا، ويورثه سوء السُّمعة)[١].

ويقول الرَّازي: (العقل يدعو إلى الله تعالى والهوى يدعو إلى الشَّيطان، ثمَّ إنَّ الرُّوح أخرج الفِطْنَة إعانة للعقل، فأخرج الشَّيطان في مقابلة الفِطْنَة الشَّهوة، فالفِطْنَة توقفك على معايب الدُّنْيا، والشَّهوة تحركك إلى لذات الدُّنْيا، ثمَّ إنَّ الرُّوح أمدَّ الفِطْنَة بالفكرة لتقوى الفِطْنَة بالفكرة)[٢].

٤- الفطن ينتفع بفطنته، وينتفع بها غيره، ويفيدون منها.

٥- ومن فوائدها وفضائلها -في نفس الوقت-: أنَّها ميَّزت هذه الأمَّة عن سواها، قال ابن الجوزي: (اعلم أنَّ فضيلة هذه الأمَّة على الأمم المتقدِّمة، وإنْ كان ذلك باختيار الحقِّ لها وتقديمه إيَّاها، إلَّا أنَّه جعل لذلك سببًا، كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم علمه بما جهلوا، فكذلك جعل لتقديم هذه الأمَّة سببًا هو الفِطْنَة والفهم واليقين وتسليم النُّفوس)[٣].

ولا يعني هذا أنَّ هذه الأمَّة اختصت بالفِطْنَة دون غيرها من الأمم، وإنَّما المقصود هو: أنَّ الله حباهم من الفِطْنَة ما يميِّزون به بين الحقِّ والباطل، والخير والشَّرِّ، والهداية والضَّلال.

٧- هي مقوِّم من مقوِّمات الشَّخصية النَّاجحة، فقد يتمتَّع الرَّجل بالقوَّة والأمانة، إلَّا أنَّه لا يتمتَّع بالفِطْنَة، وفي هذه الحالة قد لا يستطيع أن يسيِّر

(١) رواه العدني في ((الإيمان)) (ص ١١٨)، وانظر: ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٢٠).
(٢) ((تفسير الرازي)) (٤٠/٢٢).
(٣) ((التبصرة)) لابن الجوزي (٤٩٥/١).

أعماله بالطَّريقة المطلوبة، قال الرَّازي: (القُوَّة والأمانة لا يكفيان في حصول المقصود ما لم ينضمَّ إليهما الفِطْنَة والكَيَاسة)[١].

أقسام الفِطْنَة:

تنقسم الفِطْنَة إلى قسمين:

١- فِطْنَة موهوبة من الله -تبارك وتعالى-، يهبها الله من يشاء من عباده، فينير بصيرته، ويُفَهِّمه ما لا يفهم غيره، فتراه قويَّ الملاحظة، سريع الفهم، نافذ البصيرة، ذكيَّ القلب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٢- فِطْنَة مكتسبة تجريبيَّة تتحصَّل للمرء باجتهاده، وكثرة تجاربه، ومعاشرته لأهل العلم والذَّكاء والفِطْنَة والاستفادة منهم ومن تجاربهم، فيتولَّد عنده من الذَّكاء والفِطْنَة ومعرفة الأمور ما لم يكن لديه. ولعلَّنا نستشهد بقول الإبشيهي عن العقل الغريزيِّ والعقل المكتسب، باعتبار أنَّ العقل هو مصدر الفِطْنَة ومحلُّ الذَّكاء، قال الإبشيهي: (العقل: ينقسم إلى قسمين: قسم لا يقبل الزِّيادة والنُّقصان، وقسم يقبلهما، فأمَّا الأوَّل: فهو العقل الغريزيُّ المشترك بين العقلاء، وأما الثَّاني: فهو العقل التجريبيُّ، وهو مكتسب، وتحصل زيادته بكثرة التَّجارب والوقائع، وباعتبار هذه الحالة، يقال: أنَّ الشَّيخ أكمل عقلًا، وأتمُّ دِرَاية، وإنَّ صاحب التَّجارب، أكثر فهمًا وأرجح معرفة)[٢].

الوسائل المعينة على اكتساب الفِطْنَة:

١- الإيمان:

الإيمان طريق عظيم من طرق اكتساب الفِطْنَة، يقول الطَّاهر بن عاشور:

(١) ((تفسير الرازي)) (٢٤/٥٩١).
(٢) ((المستطرف)) للأبشيهي (١/٣٣).

(الإيمان يزيد الفِطْنَة؛ لأنَّ أصول اعتقاده مبنيَّة على نَبْذ كلِّ ما من شأنه تضليل الرَّأي، وطمس البصيرة)[١].

ومن وسائل اكتسابها -أيضًا-: التَّفقُّه في الدِّين، وطلب العلم الذي ينير البصيرة، ويُعْمِل الفِكَر، وينمِّي الفِطْنَة.

٢- إعمال الفكر ومحاولة الفهم:

ومن الوسائل -أيضًا-: محاولة التَّفكر في الأشياء وفهمها، وإعمال الفِكْرة فيها، فإنَّ ذلك ينمِّي الفِطْنَة. يقول ابن القيِّم: (الفِكْر هو الذي ينقل من موت الفِطْنَة إلى حياة اليَقَظَة)[٢].

٣- ترك فضول الطعام والشراب والنوم:

فإنَّ فضول هذه الأشياء تجعل الفِكْر راكدًا خاملًا، لا يكاد يَتَفَطَّن للأشياء، إلَّا بصعوبة بالغة، ومشقَّة شديدة.

قال الشَّافعي: (ما شبعت منذ ست عشرة سنة، إلا شبعة اطَّرحتها، يعني فطرحتها؛ لأنَّ الشِّبَع يثقل البدن، ويقسِّي القلب، ويزيل الفِطْنَة، ويجلب النَّوم، ويُضعف صاحبه عن العبادة)[٣].

وعن مكحول: (خصال ثلاث يحبُّها الله عزَّ وجلَّ وثلاث يبغضها الله عزَّ وجلَّ، فأما اللاتي يحبُّها: فقلَّة الأكل، وقلَّة النَّوم، وقلَّة الكلام، وأمَّا اللاتي يبغض: فكثرة الأكل، وكثرة الكلام، وكثرة النَّوم، فأمَّا النَّوم، فإنَّ في مداومته

---

(١) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (١/٢٧٥).

(٢) ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (١/١٨٣).

(٣) ((آداب الشافعي ومناقبه)) للرازي (ص ٧٨).

طول الغفلة، وقلَّة العقل، ونقصان الفِطْنَة، وسهوة القلب)[١].

قال شمس الدِّين السَّفاريني: (والبِطْنَة تُذْهِب الفِطْنَة، وتجلب أمراضًا عَسِرة، ومقام العدل أن لا يأكل حتى تُصدَّ الشَّهوة، وأن يرفع يده، وهو يشتهي الطعام)[٢]. وقال أبو حامد الغزالي: (الشِّبَع يثقل البدن ويقسِّي القلب، ويزيل الفِطْنَة، ويجلب النَّوم، ويُضعف صاحبه عن العبادة)[٣].

و(الجوع إذَا ساعدته القناعة، فَهُوَ من مزرعة الفِكْر، وينبوع الحِكْمة، وحياة الفِطْنَة، ومصباح القلب)[٤].

٤- محاسبة النفس:

ومن وسائل اكتساب هذه الصِّفة: محاسبة النَّفس، قال الحارث بن أسد: (المحاسَبة تورث الزِّيادة في البصيرة، والكَيْس في الفِطْنَة، والسُّرعة إلى إثبات الحجَّة، واتِّساع المعرفة)[٥].

نماذج في الفطنة:

• نماذج في فِطْنَة الأنبياء والمرسلين:

- قال ابن عبَّاس: (لما شبَّ إسماعيل، تزوَّج امرأة من جُرْهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا. ثمَّ سألها عن عَيْشهم، فقالت: نحن بِشَرٍّ، في ضيق وشدَّ، وشكت إليه. فقال: فإذا جاء زوجك

---

(١) ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (١/١٧٥).
(٢) ((غذاء الألباب)) (٢/١١٦).
(٣) ((إحياء علوم الدين)) (١/٢٤).
(٤) ((الرسالة القشيرية)) للقشيري (١/١٢٧).
(٥) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم الأصبهاني (١٠/٨٨).

فاقرئي –عليه السَّلام– وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء فأخبرته، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك)[١].

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذِّئب، فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنَّما ذهب بابنك أنت. وقالت الأخرى: إنَّما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السَّلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسِّكِّين أشقُّه بينكما. فقالت الصُّغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها. فقضى به للصُّغرى))[٢].

قال ابن الجوزي: (أمَّا داود عليه السَّلام فرأى استواءهما في اليد، فقدم الكبرى لأجل السِّنِّ، وأما سليمان عليه السَّلام فرأى الأمر محتملًا، فاستنبط، فأَحْسَن، فكان أَحَدَّ فِطْنَةً من داود، وكلاهما حَكَم بالاجتهاد، لأنَّه لو كان داود حكم بالنَّص، لم يسع سليمان أن يحكم بخلافه، ولو كان ما حَكَم به نصًّا، لم يَخْفَ على داود.

وهذا الحديث يدل على أنَّ الفِطْنَة والفهم موهبة لا بمقدار السِّنِّ)[٣].

- **نماذج في فِطْنَة النَّبي صلى الله عليه وسلم الفِطْرِيَّة:**

– عن علي رضي الله عنه قال: (لما قدمنا المدينة، أصبنا من ثمارها فاجتَوَيناها، وأصابنا بها وَعْكٌ، وكان النَّبي صلى الله عليه وسلم يتخبَّر عن بدر، فلمَّا بلغنا أنَّ المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخاري بنحوه (٣٣٦٤).

(٢) رواه البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠).

(٣) ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) لابن الجوزي (٣/٥١٠).

إلى بدر -وبدر بئر-، فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم؛ رجلًا من قريش، ومولى لعقبة بن أبي مُعَيط، فأمَّا القرشي: فانفلت، وأمَّا مولى عقبة: فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هُمْ -والله- كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون -إذ قال ذلك- يضربوه حتى انتهوا به إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: كم القوم؟ قال: هُمْ -والله- كثير عددهم، شديد بأسهم. فجهد النَّبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره: كم هم؟ فأبَى، ثمَّ إنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم سأله: كم ينحرون من الجُزر؟ فقال: عشرًا كلَّ يوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القوم ألف، كلُّ جَزُور لمائة وتبعها)[1].

- أنَّ علقمة بن وائل حدَّثه؛ أنَّ أباه حدَّثه، قال: (إنِّي لقاعد مع النَّبي صلى الله عليه وسلم، إذ جاء رجل يقود آخر بِنِسْعَةٍ، فقال: يا رسول الله، هذا قتل أخي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقتلته؟ فقال: إنَّه لو لم يعترف أقمت عليه البيِّنة. قال: نعم. قتلته. قال: كيف قتلته؟ قال: كنت أنا وهو نختبط من شجرة، فسبَّني فأغضبني، فضربته بالفأس على قرنه فقتلته. فقال له النَّبي صلى الله عليه وسلم: هل لك من شيء تؤدِّيه عن نفسك؟ قال: ما لي مال إلا كسائي وفأسي. قال: فترى قومك يشترونك؟ قال: أنا أهون على قومي من ذاك. فرمى إليه بِنِسْعَةٍ. وقال: دونك صاحبك. فانطلق به الرَّجل. فلما ولَّى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنْ قتله فهو مثله.

---

(١) رواه أحمد (١١٧/١) (٩٤٨)، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٣٥٦/٧). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٧٨/٦): رجاله رجال الصَّحيح، غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة. وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١٩٣/٢)، وصحَّحه الوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (٣١١) وقال: ورواته ثقات معروفون.

فرجع فقال: يا رسول الله، إنَّه بلغني أنَّك قلت: إنْ قتله فهو مثله. وأخذته بأمرك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك. قال: يا نبي الله، - لعلَّه قال - بلى. قال: فإنَّ ذاك كذاك. قال: فرمى بنِسْعَته، وخلَّى سبيله)[1].

قال ابن قتيبة: (لم يُرِد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه مثله في المأثم، واستيجاب النَّار إن قتله، وكيف يريد هذا وقد أباح الله عزَّ وجلَّ قتله بالقصاص، ولكن كَرِه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتصَّ، وأحبَّ له العفو، فعرَّض تعريضًا أوهمه به أنَّه إن قتله كان مثله في الإثم، ليعفو عنه، وكان مراده: أنَّه يقتل نفسًا كما قتل الأوَّل نفسًا، فهذا قاتل وهذا قاتل، فقد استويا في قاتل وقاتل، إلَّا أنَّ الأوَّل ظالم، والآخر مُقْتَصٌّ)[2].

- **نماذج في فِطْنَة الصَّحابة رضي الله عنهم:**

فِطْنَة أبي بكر رضي الله عنه:

عن ثابت عن أنس، قال: (لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب وأبو بكر رَدِيفه، وكان أبو بكر يعرف الطَّريق لاختلافه إلى الشَّام، فكان يمرُّ بالقوم، فيقولون: مَنْ هذا بين يديك يا أبا بكر، فيقول: هاد يهديني)[3].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاس، وقال:((إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنْيا وبين ما عنده، فاختار

(١) رواه مسلم (١٦٨٠).

(٢) ((الأذكياء)) لابن الجوزي (ص ٢٢).

(٣) رواه أحمد (٣/١٢٢) (١٢٢٥٦)، وأبو يعلى (٦/٢٠٣) (٣٤٨٦). وصحَّح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيق ((مسند أحمد)) (٣/١٢٢).

ذلك العبد ما عند الله)). قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه، أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا[1].

قال ابن الجوزي: (هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِم أنَّ المخَيَّر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].

فِطْنَة عمر رضي الله عنه:

- عن أسلم عن أبيه قال: (قَدِمَت على عمر بن الخطَّاب حُلَلٌ من اليمن، فقسَّمها بين النَّاس، فرأى فيها حُلَّة رديئة، فقال كيف أصنع بهذه، إذا أعطيتها أحدًا، لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها، قال: فأخذها فطواها، فجعلها تحت مجلسه، وأخرج طرفها، ووضع الحُلَل بين يديه، فجعل يقسم بين النَّاس، قال فدخل الزُّبير بن العوَّام، وهو على تلك الحال، قال: فجعل ينظر إلى تلك الحلَّة، فقال له: ما هذه الحلَّة؟ قال عمر: دع هذه عنك. قال: ما هيه؟ ما هيه؟ ما شأنها؟ قال: دعها عنك. قال: فأعطنيها. قال: إنَّك لا ترضاها. قال: بلى، قد رضيتها. فلمَّا توثَّق منه، واشترط عليه أن يقبلها ولا يردَّها، رمى بها إليه، فلمَّا أخذها الزُّبير ونظر إليها، إذا هي رديئة، فقال: لا أريدها. فقال عمر: هيهات، قد فرغت منها، فأجازها عليه، وأبى أن يقبلها منه)[3].

- وعن جرير (عن عمر قال له -قال لجرير - والنَّاس يتحامون العراق وقتال الأعاجم-: سِر بقومك، فما قد غلبت عليه فلك ربعه، فلمَّا جُمِعت الغنائم -غنائم جلولا- ادعى جرير أنَّ له ربع ذلك كلِّه، فكتب سعد إلى عمر

(١) رواه البخاري (٤٦٦) (٣٦٥٤).

(٢) ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) (٣/ ١٤٦).

(٣) ((الأذكياء)) لابن الجوزي (ص ٢٣).

بذلك، فكتب عمر: صدق جرير قد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قَاتَل هو وقومه على جُعْلٍ فأَعْطُوه جُعْلَه، وإن يكن إنَّما قاتل لله ولدينه ولحبيبه، فهو رجل من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم. فلمَّا قَدِم الكتاب على سعد، أخبر جرير بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين)[1].

فِطْنَة علي رضي الله عنه:

عن خنبش بن المعتمر: (أنَّ رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار، وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منَّا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولًا، فجاء أحدهما إليها، فقال: إنَّ صاحبي قد مات، فادفعي إليَّ الدَّنانير، فأبت، وقالت: إنَّكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منَّا دون صاحبه، فلست بدافعتها إليك، فثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها، حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولًا، فجاء الآخر فقال: ادفعي إليَّ الدَّنانير. فقالت: إنَّ صاحبك جاءني، فزعم أنَّك مِتَّ، فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطَّاب، فأراد أن يقضي عليها، فقالت: أنشدك الله أن تقضي بيننا، ارفعنا إلى عليٍّ، فرفعهما إلى عليٍّ، وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى واحد منَّا دون صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإنَّ مالك عندنا، فاذهب فجئ بصاحبك حتى ندفعهما إليكما)[2].

فِطْنَة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ من الشَّجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَل المسلم، فحدِّثوني

---

(١) ((الأذكياء)) لابن الجوزي (ص ٢٤).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٢٥).

ما هي؟ فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: هي النَّخلة. قال: فذكرت ذلك لعمر قال: لأن تكون قلت: هي النَّخلة. أحبُّ إليَّ من كذا وكذا))[١].

- **نماذج في فِطْنَة العلماء:**

فِطْنَة القاضي إياس بن معاوية:

القاضي إياس يُضْرب بفطنته وذكائه المثَل، وإيَّاه عنى أبو تمَّام الطَّائي الشَّاعر بقوله:

إقدامُ عَمْرو في سَمَاحَة حاتم   في حِلْمِ أَحْنَفَ في ذَكَاءِ إِيَاس

تحاكم إليه رجلان، فقال أحدهما: إنِّي نزلت إلى النَّهر لأستحمَّ، ولي قطيفة خضراء جديدة وضعتها على جانب النَّهر، وجاء هذا، وعليه قطيفة حمراء عتيقة، فوضعها ونزل الماء، ولما طلعنا، سبقني وأخذ القطيفة الخضراء، فقال: ألكما بينة؟ فقالا: لا. فأمر بمشط فحضر فمشَّطهما به، فلما فعله خرج الصُّوف الأخضر من رأس صاحب القطيفة الخضراء فأمر له بها[٢].

- وكان يومًا في بريَّة فأعوزهم الماء، فسمع نُبَاح كلب، فقال: هذا على رأس بئر، فاستقروا النُّبَاح، فوجدوه كما قال، فسألوه عن ذلك، فقال: لأنِّي سمعت صوته كالذي يخرج من بئر[٣].

فِطْنَة الخليل بن أحمد الفراهيدي:

يقال: إنَّه كان عند رجل دواء لظُلْمة العين، ينتفع به النَّاس، فمات، وأضرَّ

---

(١) رواه البخاري (١٣١) ومسلم (٢٨١١)..

(٢) ((الوافي بالوفيات)) لصلاح الدين الصفدي (٩/٢٦٢).

(٣) ((المصدر السابق)).

ذلك بمن كان يستعمله، فقال الخليل بن أحمد: أله نسخة معروفة؟ قالوا: لا.

قال: فهل له آنية كان يعمله فيها؟ قالوا: نعم، إناء كان يجمع فيه الأخلاط.

فقال: جيئوني به، فجاؤوه به، فجعل يشمُّه، ويخرج نوعًا نوعًا، حتى ذكر خمسة عشر نوعًا، ثمَّ سأل عن جميعها ومقدارها، فعرف ذلكم من يعالج مثله، فعمله وأعطاه النَّاس، فانتفعوا به مثل تلك المنفعة، ثمَّ وجدت النُّسخة في كتب الرَّجل، فوجدوا الأخلاط ستة عشر خلطًا، كما ذكر الخليل، لم يفته منها إلا خلط واحد[1].

فِطْنَة أبي حازم:

جاء رجل إلى أبي حازم، فقال له: (إنَّ الشَّيطان يأتيني، فيقول: إنَّك قد طلَّقت زوجتك، فيشكِّكُني، فقال له: أو ليس قد طلَّقتها؟ قال: لا. قال: ألم تأتني أمس، فطلَّقتها عندي. فقال: والله، ما جئتك إلَّا اليوم، ولا طلَّقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشَّيطان إذا جاءك، كما حلفت لي، وأنت في عافية)[2].

الفِطْنَة في الأمثال والحِكَم:

- يقولون: فِطْنَة الْأَعْرَاب يُضْرب بهَا الْمثل، وذلك لصفاء أذهانهم، وجودة قَرَائِحهم[3].

- قال الحُكَمَاء: الخَلْق المعتدل والبِنْيَة المتناسبة دَلِيلٌ على قُوَّة الْعقل وجودة الفِطْنَة[4].

---

(١) ((الوافي بالوفيات)) لصلاح الدين الصفدي (١٣/٢٤٢).

(٢) ((الأذكياء)) لابن الجوزي (ص ٨٠).

(٣) ((ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)) للثعالبي (ص ٦٨٤).

(٤) ((الأذكياء)) لابن الجوزي (ص ١٣).

- قال بعض الحُكَمَاء: اعلم أنَّ مِنْ يقظة الفِطْنَة: إظهارُ الغفلةِ مع شدَّة الحَذَر[١].

- وقيل: الكَرَم فِطْنَةٌ، واللُّؤم تَغَافلٌ[٢].

- وقيل: البصيرة الفِطْنَة، تقول العرب: أعمى الله بصائره. أي: فِطَنَه.

- وكان عمر بن هبيرة يقول: (اللهمَّ! إنِّي أعوذ بك من طول الغفلة، وإفراط الفِطْنَة. اللهمَّ! لا تجعل قولي فوق عملي، ولا تجعل أسوأ عملي ما قَرُبَ مِنْ أجلي)[٣].

- وقال معاوية رضي الله عنه: (العقل مِكْيالٌ، ثلثه فِطْنَةٌ، وثُلثاه تغافلٌ)[٤].

- قال ابن القيِّم: (من دقيق الفِطْنَة: أنَّك لا تردُّ على المطَاع خطأه بين الملأ، فتَحْمِله رُتْبَته على نُصْرة الخطأ. وذلك خطأ ثان، ولكن تلطَّف في إعلامه به، حيث لا يشعر به غيره)[٥].

- وقال أبو الفتح الأبشيهي: (العين المتوسطة في حجمها تدلُّ على الفِطْنَة)[٦].

- وقال الرَّازي: (الفِطْنَة والبَلَادة من الأحوال الغريزيَّة)[٧].

- وقال العتابي: (الأقلام مطايا الفِطن)[٨].

---

(١) ((الذخائر والعبقريات)) للبرقوقي (٢/١٨٠).
(٢) ((الأمثال المولدة)) لأبي بكر الخوارزمي (ص ٣٠٩).
(٣) ((المجالسة وجواهر العلم)) للدينوري (٥/١١٨).
(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٢/١٠٥).
(٥) ((المصدر السابق)) (٢/١٠٥).
(٦) ((المستطرف)) (ص ٢٧٥).
(٧) ((تفسير الرازي)) (٢/٢٩٧).
(٨) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٤/٢٧٩).

الفِطْنَة في واحة الشِّعر:

يقول ابن أبي عيينة:

فانظر وفكِّر فيما تمرُّ به إنَّ الأريب[(١)] المفكر الفَطِن[(٢)]

وقال حبيب في بني تغلب من أهل الجزيرة، يصفهم بالجفاء وقلَّة الأدب مع كرم النُّفوس:

لا رِقَّة الحضر اللَّطيف غَذَتهم وتباعدوا عن فِطْنَة الأعرابِ

فإذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النُّفوس وقلَّة الآدابِ[(٣)]

وقال الشَّاعر:

شهم الفؤادِ ذكاؤه ما مِثْلُهُ عند العزيمةِ في الأَنامِ ذَكاءُ[(٤)]

وقال آخر:

أَلْمَعيٌّ[(٥)] الظُّنونِ مُتَّقدُ الذِّهْنِ أعانته فِطْنَة وذكاءُ

مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ[(٦)] مِعَنٌّ مِفَنٌّ[(٧)] كلُّ دَاء له لَدَيْهِ دَوَاءُ[(٨)]

---

(١) الأريب: الرَّجُلُ الأَريب، أَي ذُو دَهْي وبَصَر. انظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٥/١٨٤).

(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٦/٢٦٨).

(٣) ((المصدر السابق)) (٢/٣٢٦).

(٤) ((الزاهر)) لأبي بكر الأنباري (٢/٣٦٦).

(٥) الألمعي: الذي إذا لمع له أول الأمر عرف آخره، يكتفى بظنه دون يقينه. وهو مأخوذ من اللمع وهو الإشارة الخفية والنظر الخفي. ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٢/٢٥٧).

(٦) رجل مخلط مزيل يجمع بَين الْأَشْيَاء ويميز بَينهَا لقُوَّة فكره. ((المعجم الوسيط)) (١/٤١٠).

(٧) رجل معن مفن: ذو عنن واعتراض وذو فنون من الكلام. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/٣٢٦).

(٨) ((جمهرة الأمثال)) لأبي هلال العسكري (١/ ١٤٥).

وقال آخر:

ذو العقلِ يسخو بعيشِ ساعتِه وبالذي بعدَها تشحُّ يدُه
وكلُّ ذي فِطْنَةٍ ومعرفةٍ أهمُّ مِن يومِه عليه غدُه[1]

وقال شاعر يصف أحدهم:

فضل النَّاس فِطْنَةً واجتهادًا في رضى ربِّه ورأيًا وعقلًا[2]

وقال المتنبي:

لا يُدْرِكُ المجْدَ إلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ على السَّادَاتِ فَعَّال
لا وارثٌ جَهِلَت يُمْنَاه ما وَهَبَت ولا كَسُوبٌ بغير السَّيف سَئَّالُ[3]



(١) ((التمثيل والمحاضرة)) للثعالبي (ص ١٠٣).
(٢) ((دمية القصر وعصرة أهل العصر)) للباخرزي (١/ ٨٩).
(٣) ((ديوان أبي الطيب المتنبي)) (ص ٤٨٦).



الْقَنَاعَةَ



القَنَاعَة

معنى القناعة لغةً واصطلاحًا:

• معنى القناعة لغةً:

القناعة مصدر قنِع، بالكسر، يقنَع قُنوعًا وقناعةً إذا رضي، وقَنَع، بالفتح، يقنَع قُنوعًا إذا سأل، والقُنوع: الرضا باليسير من العطاء. وقال بعض أهل العلم: إن القُنوع قد يكون بمعنى الرضا، والقانع بمعنى الراضي، وهو من الأضداد. وسمِّيت قناعةً؛ لأنه يقبل على الشيء الذي له راضيًا[(١)].

• معنى القناعة اصطلاحًا:

(القناعة: هي الرضا بما أعطى الله)[(٢)].

وقال السيوطي: (القناعة: الرضا بما دون الكفاية، وترك التشوُّف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود)[(٣)].

وقال المناوي: (هي: السكون عند عدم المألوفات. وقيل: الاكتفاء بالبلغة. وقيل سكون الجأش عند أدنى المعاش. وقيل: الوقوف عند الكفاية)[(٤)].

الفرق بين القناعة وبعض الصفات:

• الفرق بين القصد والقناعة:

(أن القصد: هو ترك الإسراف والتقتير جميعًا.

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٣٢)، ((الصحاح تاج اللغة)) للجوهري (٣/١٢٧٣)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/٢٩٨).
(٢) ((مشارق الأنوار)) لأبي الفضل البستي (٢/١٨٧).
(٣) ((معجم مقاليد العلوم)) (٢٠٥، ٢١٧).
(٤) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) (ص٢٧٥).

والقناعة: الاقتصار على القليل والتقتير، ألا ترى أنه لا يقال هو قنوع إلا إذا استعمل دون ما يحتاج إليه، ومقتصد لمن لا يتجاوز الحاجة ولا يقصر دونها، وترك الاقتصاد مع الغنى ذم، وترك القناعة معه ليس بذم، وذلك أنَّ نقيض الاقتصاد الإسراف، وقيل: الاقتصاد من أعمال الجوارح؛ لأنَّه نقيض الإسراف، وهو من أعمال الجوارح والقناعة من أعمال القلوب)[١].

• الفرق بين القناعة والزهد:

قال الراغب: (القناعة: الرضا بما دون الكفاية، والزهد: الاقتصار على الزهيد، أي: القليل وهما يتقاربان، لكن القناعة تقال اعتبارًا برضا النفس، والزهد يقال اعتبارًا بالمتناول لحظ النفس، وكلُّ زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهُّد لا زهد)[٢].

الترغيب في القناعة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

عن محمد بن كعبٍ في قوله تعالى: ﴿ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾. قال: القناعة[٣].

وفسَّرها علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضًا بالقناعة[٤].

(١) ((معجم الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص٤٣٠).
(٢) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص٢٢٥).
(٣) ((القناعة والتعفف)) لابن أبي الدنيا (٦١).
(٤) انظر: ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٢/٣٤٦).

و(عن الحسن البصري، قال: الحياة الطيبة: القناعة)[1].

- وقال تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

قال البغوي: (قيل: الغنى: هاهنا القناعة)[2]. وذهب إلى ذلك أيضًا الخازن[3].

- وقال سبحانه: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

قال الطبري: (وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي؛ فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعًا وقنعانًا)[4].

وقال مجاهد: (القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته)[5].

وقال أبو إسحاق الثعلبي: (القانع من القناعة، وهي الرضا والتعفف وترك السؤال)[6].

وقال الرازي: (قال الفراء: والمعنى الثاني القانع هو الذي لا يسأل من القناعة، يقال: قنع يقنع قناعةً إذا رضي بما قسم له وترك السؤال)[7].

- وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قال النسفي: (﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ عفوًا ومغفرة، أو المال والجنة، أو

(١) ((جامع البيان)) للطبري (٣٥١/١٤).
(٢) ((معالم التنزيل)) (٤٠/٦).
(٣) ((لباب التأويل)) (٢٩٤/٣).
(٤) ((جامع البيان)) للطبري (٥٦٩/١٦).
(٥) ((المصدر السابق)) (٥٦٣/١٦).
(٦) ((الكشف والبيان)) للثعلبي (٢٣/٧).
(٧) ((مفاتيح الغيب)) للرازي (٢٢٦/٢٣).

ثناء الخلق ورضا الحق، أو الإيمان والأمان، أو الإخلاص والخلاص، أو السنة والجنة، أو القناعة والشفاعة..)[١].

وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿حَسَنَةً﴾: (.. القناعة بالرزق، أو: التوفيق والعصمة، أو: الأولاد الأبرار.. قاله جعفر)[٢].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣].

قال الرازي: (قال بعضهم: النعيم: القناعة، والجحيم: الطمع)[٣].

وقال النيسابوري: (وقال آخرون: النعيم: القناعة والتوكل)[٤].

ثانيًا: في السنة النبوية

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنَّعه الله))[٥].

قال ابن حجر: (ومعنى الحديث: أن من اتصف بتلك الصفات حصل على مطلوبه، وظفر بمرغوبه في الدنيا والآخرة)[٦].

وقال المناوي: (رُزق كفافًا، وقنَّعه الله بالكفاف، فلم يطلب الزيادة)[٧].

وقال المباركفوري: (... ((كفافًا)). أي: ما يكف من الحاجات، ويدفع الضرورات. ((وقنَّعه الله)). أي: جعله قانعًا بما آتاه)[٨].

---

(١) ((مدارك التنزيل)) للنسفي (١/١٧٢).
(٢) ((البحر المحيط)) (٢/٣١٠).
(٣) ((مفاتيح الغيب)) (٣١/٨٠).
(٤) ((غرائب القرآن ورغائب الفرقان)) (٦/٤٦٠).
(٥) رواه مسلم (١٠٥٤).
(٦) ((فتح الباري)) لابن حجر (١١/٢٧٥).
(٧) ((فيض القدير)) (٤/٥٠٨).
(٨) ((تحفة الأحوذي)) (٤/٥٠٨).

وقال القرطبي: (أنَّ من فعل تلك الأمور واتصف بها فقد حصل على مطلوبه، وظفر بمرغوبه في الدنيا والآخرة)[١].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يومًا يحدث- وعنده رجلٌ من أهل البادية- أنَّ رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحبُّ أن أزرع، قال: فبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله عزَّ وجلَّ: دونك يا ابن آدم، فإنَّه لا يشبعك شيءٌ. فقال الأعرابي: والله لا نجده إلا قرشيًّا، أو أنصاريًّا، فإنهم أصحاب زرعٍ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرعٍ. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم))[٢].

قال ابن بطال: (وقوله: دونك يا ابن آدم، لا يشبعك شيء. يدلُّ على فضل القناعة، والاقتصار على البلغة، وذمِّ الشَّرَهِ والرغبة)[٣].

وقال ابن حجر: (وفيه إشارةٌ إلى فضل القناعة، وذمِّ الشَّرَهِ)[٤].

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهمَّ اجعل رزق آل محمدٍ قُوتًا))[٥].

قال ابن حجر: (أي: اكفهم من القوت بما لا يرهقهم إلى ذلِّ المسألة، ولا يكون فيه فضولٌ تبعث على الترفُّه والتبسُّط في الدنيا. وفيه حجةٌ لمن فضَّل الكفاف؛ لأنَّه إنما يدعو لنفسه وآله بأفضل الأحوال)[٦].

(١) ((المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم)) (٣/٩٩).
(٢) رواه البخاري (٢٣٤٨).
(٣) ((شرح البخاري)) (٦/٤٨٩).
(٤) ((فتح الباري)) (٥/٢٧).
(٥) رواه مسلم (١٠٥٥).
(٦) ((فتح الباري)) (١١/٢٧٥).

وقال النووي: (قال أهل اللغة العربية: القُوت ما يسدُّ الرَّمَق، وفيه فضيلة التقلل من الدنيا، والاقتصار على القوت منها، والدعاء بذلك)[(١)].

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أصبح وأمسى آمنًا في سِرْبه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه؛ كان كمن حِيزت له الدنيا بحذافيرها))[(٢)].

وقال المناوي: ((عنده قوت يومه) أي: غداؤه وعشاؤه الذي يحتاجه في يومه ذلك.

يعني: من جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجَّه، وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله؛ فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها؛ بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصية، ولا يفتر عن ذكره)[(٣)].

وقال المباركفوري: (... ((عنده قوت يومه)) أي: كفاية قوته من وجه الحلال ((فكأنما حِيزت))... والمعنى فكأنما أُعطي الدنيا بأسرها.)[(٤)].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنَّ، أو يعلم من يعمل بهنَّ؟ قلت:

---

(١) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (١٤٦/٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٣٣٥٧)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٣٠٠)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٩٤/٧) (١٠٣٦٢)، والمنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣٣٥/١). من حديث عبيد الله بن محصن رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، وقال البيهقي: أصح ما روي في الباب، وصححه الشوكاني في ((فتح القدير)) (٤٤/٢)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

(٣) ((فيض القدير)) (٦٨/٦).

(٤) ((تحفة الأحوذي)) (١٠/٧).

أنا يا رسول الله! فأخذ يدي فعدَّ خمسًا، فقال: اتَّقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك؛ فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب))[1].

قال المناوي: ((وارضَ بما قسم الله لك) أي: أعطاك (تكن أغنى الناس) فإنَّ من قنع بما قسم له، ولم يطمع فيما في أيدي الناس استغنى عنهم، ليس الغنى بكثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس)[2].

أقوال السلف والعلماء في القناعة:

- (قال عبد الله بن عباس: القناعة مال لا نفاد له)[3].

- (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الرزق رزقان: فرزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك)[4].

- (وقال سعد بن أبي وقاص لابنه: يا بني: إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنها مال لا ينفد؛ وإياك والطمع فإنه فقر حاضر؛ وعليك باليأس،

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٣٤١٧)، وأبو يعلى في ((المسند)) (١١/١١٣) (٦٢٤٠)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٧/١٢٥) (٧٠٥٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/٧٨) (٩٥٤٣). قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان والحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقال ابن عساكر في ((معجم الشيوخ)) (٢/٧٩٠): حسن غريب، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٥/٨) كما قال في المقدمة، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

(٢) ((التيسير بشرح الجامع الصغير)) (١/٢٧).

(٣) ذكره ابن عبد ربه في ((العقد الفريد)) (٣/١٦٩).

(٤) ذكره ابن عبد ربه في ((المصدر السابق))، ورواه الجرجاني مرفوعًا في ((تاريخ جرجان)) (ص ٣٦٦).

فإنك لم تيأس من شيء قطُّ إلا أغناك الله عنه)(١).

- و(قال عمر بن عبد العزيز: الفقه الأكبر القناعة، وكفُّ اللسان)(٢).

- وقال الراغب: (الفقر أربعة: فقر الحسنات في الآخرة، وفقر القناعة في الدنيا، وفقر المقتني، وفقرها جميعًا، والغني بحسبه، فمن حصل له في الدنيا فقد القناعة والمقتني فهو الفقير المطلق على سبيل الذم، ولا يقال له غني بوجه)(٣).

- و(قال أكثم بن صيفي لابنه: يا بني، من لم ييأس على ما فاته ودع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قرَّت عينه)(٤).

- (وقال بكر بن عبد الله المزني: يكفيك من الدنيا ما قنعت به، ولو كفَّ تمرٍ، وشربة ماءٍ، وظلَّ خباءٍ، وكلما انفتح عليك من الدنيا شيءٌ ازدادت نفسك به تعبًا)(٥).

- وقال (نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء.

- وقال أبو حاتم: (مِن أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرًا القناعة، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء، والثقة بالقسم، ولو لم يكن في القناعة خصلة تُحمد إلا الراحة، وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل، لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال)(٦).

---

(١) رواه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٢٠/٣٦٣).
(٢) ((أدب المجالسة وحمد اللسان)) لابن عبد البر (ص ٨٧).
(٣) ((تفسير الراغب)) للراغب الأصفهاني (١/٥٦٤).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص ١٤٩).
(٥) ((القناعة والتعفف)) لابن أبي الدنيا (ص ٦٢).
(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص١٤٩).

- وقال أيضًا (القناعة تكون بالقلب؛ فمن غني قلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه، ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنا مطمئنًا، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائت نهاية لرغبته، والجَدُّ والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد)[١].

- و(قال أبو سليمان الداراني: إن قومًا طلبوا الغنى فحسبوا أنَّه في جمع المال، ألا وإنما الغنى في القناعة، وطلبوا الراحة في الكثرة؛ وإنما الراحة في القلة، وطلبوا الكرامة من الخلق، ألا وهي في التقوى، وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق واللين وفي طعامٍ طيبٍ، والنعمة في الإسلام الستر والعافية)[٢].

- و(قال أبو الحسن البوشنجي، وسئل عن القناعة؟ فقال: المعرفة بالقسمة)[٣].

- و(عن أبي سليمان أنه قال: سمعت أختي تقول: الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعزِّ القناعة، والرضا بفقره)[٤].

- و(قال أبو محرز الطفاوي: شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب عليَّ وأنا شاب، فقالت لي: يا بني استعن بعزِّ القناعة عن ذلِّ المطالب، فكثيرًا والله ما رأيت القليل عاد سليمًا. قال أبو محرز: ما زلت بعد أعرف بركة كلامها في قنوعي)[٥].

- و(عن الحسن، قال: لا تزال كريمًا على الناس- أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفُّوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك)[٦].

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان (ص١٥٠).

(٢) ((الزهد الكبير)) للبيهقي (ص٨٠).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص٨٤).

(٤) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٢/٤٣١).

(٥) ((المصدر السابق)) (٢/٢٥٨).

(٦) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم الأصبهاني (٣/٢٠).

- (وقال مالك بن دينارٍ: أزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته)[١].

- (وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد)[٢].

فوائد القناعة:

١- سبب لنيل محبة الله.

٢- علامة كمال الإيمان.

٣- تجعل الإنسان يعيش حياة هنيئة طيبة.

٤- تشيع المودة، وتنشر المحبة بين الناس.

٥- تكسب الإنسان قوة الإيمان، والثقة به، والرضا بما قسم.

٦- سبيل لراحة النفس، والبعد عن الهموم.

٧- وقاية من الغيبة ،والنَّمِيمَة، والحسد.

٨- طريق موصل إلى الجنة.

٩- سبب للبركة.

١٠- عز للنفس.

١١- تكسب صاحبها غنى النفس.

١٢- فيها تحقيق لشكر الله تعالى على نعمه.

١٣- تعفف عما في أيدي الناس[٣].

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٢٢٧).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/٢٣٩).

(٣) انظر: ((نضرة النعيم)) لمجموعة من الباحثين (٨/٣٢٣٥). و((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٣٦٣-٣٦٥) بتصرف واختصار.

مراتب القناعة:

قال الماوردي: (والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجهٍ:

فالوجه الأول: أن يقنع بالبلغة من دنياه، ويصرف نفسه عن التعرُّض لما سواه. وهذا أعلى منازل القناعة.

والوجه الثاني: أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية، ويحذف الفضول والزيادة. وهذه أوسط حال المقتنع.

والوجه الثالث: أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سنح، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيرًا، ولا يطلب ما تعذَّر وإن كان يسيرًا. وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركةٌ بين رغبةٍ ورهبةٍ. أما الرغبة؛ فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنحت. وأما الرهبة؛ فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت)[١].

موانع اكتساب القناعة:

١- الإكثار من مجالسة ذوي الأموال والمترفين.

٢- طلب الزيادة عن الكفاية، والتوسع في جمع الأموال.

٣- ترك قراءة القرآن الكريم وتدبُّر آياته.

٤- قلة تذكر الموت والدار الآخرة.

٥- الانغماس في شهوات الدنيا.

٦- التوسع في المباحات والإكثار منها.

(١) ((أدب الدنيا والدين)) (١٢٦-١٢٧).

الأسباب المعينة على اكتساب القناعة:

١- اكتفاء الإنسان بما رُزق.

٢- الاطلاع على سيرة السلف الصالح، وزهدهم وقناعتهم، والاقتداء بهم.

٣- الاقتصاد في الإنفاق، وعدم الإسراف والتبذير.

٤- الإلحاح في الدعاء بأنَّ يرزقه الله القناعة، كما فعل ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- الإيمان الجازم بأنَّ الأرزاق مقدرة مقسومة.

٦- تعويد النفس على القناعة، والبعد عن الحرص والطمع.

٧- تقوية الإيمان بالله تعالى.

٨- النظر إلى من هو أقل منه في الرزق، ولا ينظر إلى من هو أعلى منه[١].

٩- الاعتقاد بأن الله سبحانه جعل التفاوت في الأرزاق بين الناس لحكمة يعلمها.

١٠- تذكر الموت وزيارة القبور.

١١- قراءة القرآن والتأمل في الآيات القرآنية التي تناولت قضية الرزق والمعيشة.

١٢- أن يعلم أنَّ في القناعة عزة للنفس، وفي الطمع ذل ومهانة.

١٣- أن يعرف أنَّ في جمع المال انشغال القلب به.

---

(١) ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: ((انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)) رواه مسلم (٢٩٦٣).

نماذج في القناعة:

• نماذج من قناعة النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قنوعًا زاهدًا، فكان من أبعد الناس عن ملذات الدنيا، وأرغبهم إلى الآخرة، وقد خيره ربه جلَّ وعلا بين الدنيا، وأن يعيش فيها ما شاء، وبين الآخرة، فاختار الآخرة وما عند الله، وخيَّره أن يكون ملكًا نبيًّا أو عبدًا نبيًّا، فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا.

- قال عمر رضي الله عنه: ((دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجعٌ على حصيرٍ، فجلست، فأدنى عليه إزاره[١] وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أنا بقبضةٍ من شعيرٍ نحو الصاع، ومثلها قرظًا في ناحية الغرفة، وإذا أفيقٌ معلقٌ، قال: فابتدرت عيناي، قال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفوته، وهذه خزانتك، فقال: يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى...))[٢].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: ((اللهم قنِّعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف على كلِّ غائبة لي بخير))[٣].

---

(١) الإزار: ما تحت العاتق في وسطه الأسفل، وقيل: الإزار: ما يستر أسفل البدن ولا يكون مخيطا. ((تاج العروس)) للزبيدي (١٠/٤٣).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٣) ومسلم (١٤٧٩) واللفظ له.

(٣) رواه ابن خزيمة (٤/٢١٧) (٢٧٢٨)، والحاكم (١/٦٢٦). قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه ابن حجر في ((الفتوحات الربانية)) (٤/٣٨٣).

- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: ((ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أُوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. فقلت: ما كان يُعيِّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنَّه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كان لهم منائح[١]، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبياتهم، فيسقيناه))[٢].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم ارزق آل محمد قوتًا))[٣].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أدم[٤] وحشوه ليف))[٥].

- وعن قتادة رضي الله عنه قال: ((كنا نأتي أنس بن مالك وخبازه قائم، وقال: كلوا، فما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم رأى رغيفًا مرقَّقًا[٦] حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا[٧] بعينه قط))[٨].

---

(١) جمع منيحة: وهي ناقة أو شاة، تعطى لينتفع بلبنها ويعيدها. وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زمانا ثم يردها. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣٦٤/٤).

(٢) رواه البخاري (٦٤٥٩) ومسلم (٢٩٧٢) واللفظ للبخاري.

(٣) رواه مسلم (١٠٥٥).

(٤) الأدم: جمع أديم، وهو الجلد الذي قد تم دباغه وتناهى. ((تاج العروس)) للزبيدي (١٩٢/٣١).

(٥) رواه البخاري (٦٤٥٦) ومسلم (٢٠٨٢) واللفظ للبخاري.

(٦) رغيفًا مرققًا: أي مليناً محسنا. ((مشارق الأنوار على صحاح الآثار)) للقاضي عياض (٢٩٨/١).

(٧) شاة سميطا: أي مشوية. ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٢٢/٧).

(٨) رواه البخاري (٥٤٢١).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي، فكلته ففني))[١].

- وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: ((لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما شبع من خبز وزيت، في يوم واحد، مرتين))[٢].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: ((لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات، وما أكل خبزًا مرقَّقًا حتى مات))[٣].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو كان لي مثل أحد ذهبًا ما يسرني أن لا يمرَّ علي ثلاث وعندي منه شيء، إلا شيء أرصده لدين))[٤].

- وعن عروة عن عائشة رضي الله عنهما قالت: ((ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر))[٥].

- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير، يومين متتابعين، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٦].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥١) ومسلم (٢٩٧٣).
(٢) رواه مسلم (٢٩٧٤).
(٣) رواه البخاري (٦٤٥٠).
(٤) رواه البخاري (٢٣٨٩).
(٥) رواه البخاري (٦٤٥٥).
(٦) رواه مسلم (٢٩٧٠).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام برٍّ ثلاث ليال تباعًا حتى قُبض))[١].

• نماذج من قناعة الصحابة رضي الله عنهم:

لقد سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما كان عليه واتبعوا آثاره، وتخلَّقوا بأخلاقه، وعاشوا التقشُّف[٢] والزهد في أول أمرهم نظرًا لقلة ذات اليد، ثم انتشر الإسلام وجاءتهم الغنائم وفتح الله عليهم، فلم تؤثر هذه الأموال التي اكتسبوها من الغنائم على زهدهم، بل استمروا على ما هم فيه من قناعة وتقشف، وهنا نذكر بعض النماذج من قناعة الصحابة وبعدهم عن الطمع:

- عن أبي العالية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من يكفل لي أن لا يسأل أحدًا شيئًا، وأتكفل له بالجنة؟ فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدًا شيئًا))[٣].

- وعن أبي هريرة، قال: (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزارٌ وإما كساءٌ، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده، كراهية أن تُرى عورته)[٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٤١٦) ومسلم (٢٩٧٠).

(٢) التقشف: لبس الثياب المرقعة الوسخة، والقشف شدة العيش. ((طلبة الطلبة)) للنسفي (٨٨).

(٣) رواه أبو داود (١٦٤٣)، وأحمد (٥/٢٧٦) (٢٢٤٢٨)، والطبراني (٢/٩٨) (١٤٣٣)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٣/٢٧٢) (٣٥٢١).
الحديث سكت عنه أبو داود، وصحح إسناده ابن جرير في ((مسند عمر)) (١/٣٠)، والمنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٢/٣٩)، والنووي في ((رياض الصالحين)) (٢٣٧)، وصحح الحديث الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)).

(٤) رواه البخاري (٤٤٢).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة. يُشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين، وهؤلاء الذين رآهم أبو هريرة غير السبعين الذين بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بئر معونة، وكانوا من أهل الصفة أيضًا، لكنهم استشهدوا قبل إسلام أبي هريرة)[١].

- وعن الحسن قال: (كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان أميرًا على زهاء ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب في عباءة يفترش نصفها، ويلبس نصفها، فإذا خرج عطاؤه تصدَّق به، وأكل من سفيف يده)[٢].

• نماذج في القناعة عند السلف:

- (ورث داود الطائي من أبيه دارًا ودنانير، فكان كلما خرب في الدار بيت انتقل إلى غيره ولم يعمره، ولم يزل يتقوت بالدنانير حتى كفن في آخرها)[٣].

- و(عن يحيى بن عروة بن أذينة قال: لما أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هشام ابن عبد الملك فأنشدوه، فلما عرف أبي قال: ألست القائل:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعنيني

فهلا جلست في بيتك حتى يأتيك؟ فسكت أبي ولم يجبه، فلما خرجوا من عنده جلس أبي على راحلته حتى أتى المدينة، وأمر هشامٌ بجوائزهم، فقعد أبي فسأل عنه فلما خبر بانصرافه، قال: لا جرم، والله ليعلمنَّ أنَّ ذلك سيأتيه. ثم

---

(١) ((فتح الباري)) (٥٣٦/١).

(٢) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١٩٧/١-١٩٨)، ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٣٤/٢١).

(٣) ((ربيع الأبرار)) للزمخشري (٣٣٨/٥).

أضعف له ما أعطى واحدًا من أصحابه، وكتب له فريضتين)[١].

- (وقال زمعة بن صالحٍ: كتب إلى أبي حازمٍ بعض بني أمية يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه، فكتب إليه: أما بعد، فقد جاءني كتابك تعزم علي أن أرفع إليك حوائجي، وهيهات، قد رفعت حوائجي إلى ربي، ما أعطاني منها قبلت، وما أمسك علي منها قنعت)[٢].

- (وعن حفصٍ الجعفي، قال: ورث داود الطائي من أمه أربع مائة درهمٍ، فمكث يتقوت بها ثلاثين عامًا، فلما نفدت، جعل ينقض سقوف الدويرة، فيبيعها.

- وقال عطاء بن مسلمٍ: عاش داود عشرين سنةً بثلاث مائة درهمٍ)[٣].

- (وذكر إبراهيم بن السري الزجاج: أنه كان يجري على أبي جعفرٍ في الشهر أربعة دراهم، يتقوت بها. قال: وكان لا يسأل أحدًا شيئًا)[٤].

- **نماذج في القناعة عند العلماء المعاصرين:**

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي:

كان الشنقيطي قنوعًا بما رزقه الله، زاهدًا في الدنيا، عفيفًا عما في أيدي الناس، كريمًا بما يملك. وقد ذكر عنه بعض أقاربه وطلابه شيئًا من قناعته وزهده، نذكر طرفًا منها:

قال عنه ابنه عبد الله: (كان رحمه الله لا يريد الدنيا، ولا يهتم بها، ويحرص

(١) ((التبصرة)) لابن الجوزي (ص ١٥٦).
(٢) ((القناعة)) لابن السني (ص٤٠).
(٣) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٤٢٤/٧).
(٤) ((المصدر السابق)) (٥٤٦/١٣).

على الاقتصاد. ويقول: الذي يفرحنا أن الدنيا لو كانت ميتة لأباح الله منها سد الخلة. وكان يقول: لم أقترض قطُّ لأحد، ولم أبع، ولم أشتر، وترك لي والدي ثروة، فكنت أعيش منها، وكان عندي كنز عظيم أرجو الله أن لا يضيع مني؛ هو القناعة.

وقال عنه أيضًا: أنَّه كان في المدينة، وكان لا يوجد عنده أي مال، وقد وعده أحد جيرانه أن يقترض له مالًا. ولما أراد الشيخ رحمه الله أن يأتيه وجده يشتغل، وعليه ملابس متبذلة، فرجع عنه وكأنه وجد في نفسه قليلًا أنه في عازة. قال: ولم أشعر حتى خررت ساجدًا في الطريق في الغبار، ورفعت رأسي وعندي فرح ونشوة لا يعلمها إلا الله إكرامًا لما أعطاني من العلم، فكيف أريد دنيا، وربي أكرمني بالعلم، وبفهم كتاب الله. فذهبت إلى البيت وكأنَّ الدنيا كملت لي؛ لاستشعاري نعمة الله علي بما أعطاني من فهم القرآن. وقد سد الله لي تلك الحاجة من غير أن أسأل أحدًا، ونذهب لأحد، إكرامًا منه وفضلًا)[١].

وقال عنه عطية سالم: (والواقع أنَّ الدنيا لم تكن تساوي عنده شيئًا فلم يكن يهتم لها. ومنذ وجوده في المملكة وصلته بالحكومة حتى فارق الدنيا لم يطلب عطاء ولا مرتبًا ولا ترفيعًا لمرتبه ولا حصولًا على مكافأة أو علاوة. ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن ليستبقيه، بل يوزعه في حينه على المعوزين من أرامل ومنقطعين، وكنت أتولَّى توزيعه وإرساله من الرياض إلى كلٍّ من مكة والمدينة. ومات ولم يخلف درهمًا ولا دينارًا، وكان مستغنيًا بعفته وقناعته. بل إنَّ حقَّه الخاص ليتركه تعففًا عنه، كما فعل في

(١) ((جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف)) لعبد العزيز الطويان (١/٣٨).

مؤلفاته، وهي فريدة في نوعها، لم يقبل التكسب بها وتركها لطلبة العلم. وسمعته يقول: لقد جئت معي من البلاد بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة، وأخشى عليه الضياع. فقلت له: وما هو؟ قال: القناعة. وكان شعاره في ذلك قول الشاعر:

الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تكثر حسرتي ووساوسي)[1]

مواعظ حول القناعة:

موعظة عمر بن عبد العزيز في القناعة:

(قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من وعظ أخاه بنصيحةٍ له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه، فاتقوا الله، فإنها نصيحةٌ لكم في دينكم فاقبلوها، وموعظةٌ منجيةٌ من العواقب فالزموها، فالرزق مقسومٌ، ولن يعدو المرء ما قسم له، فأجملوا في الطلب، فإنَّ في القنوع سعةً وبلغةً، وكفًّا عن كَلَفةٍ، لا يحل الموت في أعناقكم، وجهته أيامكم، وما ترون ذاهبٌ، وما مضى كأن لم يكن، وكل ما هو آتٍ قريبٌ، أما رأيتم حالات المنيب وهو يشرف ويعد فراغه، وقد ذاق الموت وعائلهم تعجيل إخراج أهله إياه من داره إلى قبره، وسرعة انصرافهم إلى مسكنه، وجهه مفقودٌ، وذكره منسي، وبابه عن قليلٍ مهجورٌ، كأن لم يخالط إخوان الحفاظ، ولم يعمر الديار، فاتقوا يومًا لا تخفى فيه مثقال حبةٍ في الموازين)[2].

موعظة وهب بن منبه لعطاء الخرساني في القناعة:

(قال وهب بن منبهٍ لعطاءٍ الخراساني: ويحك يا عطاء! ألم أخبر أنك تحمل

---

(١) ((مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله)) لعطية محمد سالم (ص ٥٤).

(٢) ((القناعة والتعفف)) لابن أبي الدنيا (ص ٦٤).

علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا، ويحك يا عطاء! تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه! وتدع من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه، ويقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]. يا عطاء أترضى بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولا ترضى بالدون من الحكمة مع الدنيا؟! ويحك يا عطاء! إن كان يغنيك ما يكفيك، وإنَّ أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيءٌ يكفيك. ويحك يا عطاء! إنما بطنك بحرٌ من البحور، ووادٍ من الأودية، ولا يملؤه شيءٌ إلا التراب)[١].

أقوال الأدباء والحكماء في القناعة:

- (قال أكثم بن صيفي: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة.

- وقال بعض السلف: قد يخيب الجاهد الساعي، ويظفر الوادع الهادي. فأخذه البحتري فقال:

لم ألق مقدورًا على استحقاقه ... في الحظ إما ناقصًا أو زائدا

وعجبت للمحدود يحرم ناصبًا ... كلفًا وللمجدود يغنم قاعدا

ما خطب من حرم الإرادة قاعدًا ... خطب الذي حرم الإرادة جاهدا

- وقال بعض الحكماء: إنَّ من قنع كان غنيًّا وإن كان مقترًا[٢]، ومن لم يقنع كان فقيرًا، وإن كان مكثرًا.

- وقال بعض البلغاء: إذا طلبت العزَّ فاطلبه بالطاعة، وإذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فمن أطاع الله عز وجل عن نصره، ومن لزم القناعة زال فقره.

(١) ((القناعة والتعفف)) لابن أبي الدنيا (٦٧-٦٨).

(٢) مقتَرًا: أقتر الرجل بمعنى افتقر. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (٢٤٧).

- وقال بعض الأدباء: القناعة عزُّ المعسر، والصدقة حرز[١] الموسر)[٢].

- (وقيل لبعض الحكماء: اكتسب فلانٌ مالًا، قال: فهل اكتسب أيامًا يأكله فيها؟ قيل: ومن يقدر على ذلك؟ قال: فما أراه اكتسب شيئًا)[٣].

- و(كتب حكيمٌ إلى أخٍ له: أما بعد فاجعل القنوع ذخرًا، ولا تعجل على ثمرة لم تدرك، فإنك تدركها في أوانها عذبةً، والمدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح لما تؤمِّل، فثق بخيرته لك في أمورك كلِّها)[٤].

- و(قال الحكيم: أربعةٌ طلبناها فأخطأنا طرقها: طلبنا الغنى في المال، فإذا هو في القناعة، وطلبنا الراحة في الكثرة، فإذا هي في القلة، وطلبنا الكرامة في الخلق، فإذا هي في التقوى، وطلبنا النعمة في الطعام واللباس، فإذا هي في الستر والإسلام)[٥].

- (وقال بعض الحكماء: ما فوق الكفاف إسرافٌ.

- وقال بعض البلغاء: من رضي بالمقدور قنع بالميسور)[٦].

- (وقال بعض الحكماء: الرضى بالكفاف يؤدي إلى العفاف)[٧].

- و(قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم)[٨].

---

(١) الحرز: الموضع الحصين. ((مختار الصحاح)) للرازي (٧٠).
(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٢٦).
(٣) ((القناعة والتعفف)) لابن أبي الدنيا (ص ٦٢).
(٤) ((التبصرة)) لابن الجوزي (ص ١٥٦).
(٥) ((تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين)) للسمرقندي (ص٢٤٥).
(٦) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٢٧).
(٧) ((المصدر السابق)).
(٨) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/٢٠٦).

أمثال في القناعة:

- يقال في المثل: خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع[1].
- القناعة مال لا ينفد[2].
- وقولهم: يكفيك ما بلغك المحل[3].
- شر الفقر الخضوع، وخير الغنى القناعة[4].

القناعة في واحة الشعر:

قال بشر بن الحارث:

أفادتنا القناعةُ أيَّ عزٍّ ... ولا عزًّا أعز من القناعه

فخذْ منها لنفسِك رأسَ مالٍ ... وصيِّر بعدَها التقوَى بضاعه

تحزْ حالين: تغنى عن بخيلٍ ... وتسعدُ في الجِنانِ بصبرِ ساعه[5]

وقال محمد بن حميد الأكاف:

تقنَّعْ بالكَفافِ تعِشْ رخيا ... ولا تبغِ الفضول من الكفافِ

ففي خبز القفار بغير أُدمٍ ... وفي ماء [القِراح] غنًى وكافِ

وفي الثوب المرقَّع ما يُغطَّى ... به من كلِّ عريٍ وانكشافِ

وكلُّ تزيُّن بالمرء زين ... وأزينه التزيُّنُ بالعفافِ[6]

---

(١) ((الصحاح تاج اللغة)) للجوهري (٣/١٢٧٣).

(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/١٤).

(٣) ((المصدر السابق)) (٣/٤٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (٣/٤٥).

(٥) ((مختصر تاريخ دمشق)) لابن منظور (٥/٢٠٣)، ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/٥٣٧).

(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص١٥٠).

وقال آخر:

هي القناعةُ لا ترضَى بها بدلا ... فيها النعيمُ وفيها راحةُ البدنِ

انظرْ لمن ملَك الدُّنيا بأجمعِها ... هل راح منها بغير القطن والكفن[١]

وقال عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا المرءُ لم يقنَعْ بعيشٍ فإنَّه ... وإن كان ذا مالٍ من الفقرِ مُوقرُ[٢]

إذا كان فضلُ الناس يُغنيك بينهم ... فأنت بفضل الله أغنى وأيسرُ[٣]

وقال آخر:

نصف القنوع وأينا يقنع ... أو أينا يرضى بما يجمع

لله درُّ ذوي القناعةِ ما ... أصفى معاشهم وما أوسع

من كان يبغي أن يلذَّ وأن ... تهدى جوارحه فما يطمع

فقرُ النفوس بقدر حاجتها ... وغنى النفوس بقدر ما تقنع[٤]

وقال محمود الوراق:

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعا ... وليس بمغنيك الكثيرُ مع الحرصِ

وإن اعتقاد الهمِّ للخير جامعٌ ... وقلةُ همِّ المرء يدعو إلى النقصِ[٥]

وقال آخر:

رضيتُ من الدنيا بقوتٍ يقيمني ... فلا أبتغي مِن بعده أبدًا فضلا

---

(١) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/٥٣٧).

(٢) موقر: من الوقر الحمل الثقيل. ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/ ٢٨٩).

(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص١٥٠).

(٤) ((التبصرة)) لابن الجوزي (٢/١٥٦).

(٥) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٣/١٥٨).

ولست أرومُ القُوتَ إلَّا لأنَّه ... يُعينُ على علمٍ أردُّ به جهلا
فما هذه الدنيا بطِيبِ نعيمها ... لأيسرِ ما في العلمِ من نكتةٍ عَدلا[١]

وقال آخر:

عليك بتقوَى اللهِ واقنعْ برزقِه ... فخيرُ عبادِ اللهِ مَن هو قانعُ
ولا تُلهِك الدنيا ولا تطمعْ بها ... فقد يُهلك المغرورَ فيها المطامعُ[٢]

وقال ابن تيمية:

وجدتُ القناعةَ ثوبَ الغنى ... فصرتُ بأذيالها أمتسكْ
فألبسني جاهُها حلةً ... يمرُّ الزمانُ ولم تُنتهَكْ
فصرتُ غنيًّا بلا درهمٍ ... أمرُّ عزيزًا كأنِّي مَلِكْ[٣]

وما أحسن قول الشافعي:

خَبَرْتُ بَني الدنيا فلم أرَ منهم ... سِوى خادعٍ والخبثُ حشوُ إهابِهِ
فجرَّدتُ عن غِمدِ القناعةِ صارمًا[٤] ... قطعتُ رجائي منهمُ بذُبابِه
فلا ذا يراني واقفًا بطريقِه ... ولا ذا يراني قاعدًا عندَ بابِه
غنيٌّ بلا مالٍ عن الناسِ كلِّهم ... وليس الغِنى إلا عن الشيءِ لا به[٥]

وقال آخر:

إذا أظمأتك أكفُّ اللئامِ ... كفَتْك القناعةُ شِبَعًا وريًّا

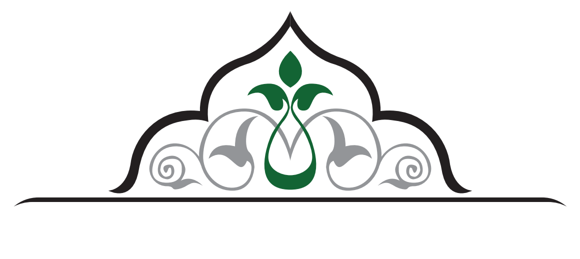
---

(١) ((القناعة)) لابن السني (١/٤٦).
(٢) ((التبصرة)) لابن الجوزي (٢/١٥٦).
(٣) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/٥٣٨).
(٤) الصارم: السيف القاطع. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/٣٣٥).
(٥) ((غذاء الألباب)) للسفاريني (٢/٥٤٣).

فكن رجلًا رِجله في الثَّرَى وهامةُ همَّتِه في الثُّريَّا
أبيًّا لنائلِ ذي ثروةٍ تَراه بما في يديه أبيا
فإنَّ إراقةَ ماءِ الحياةِ دونَ إراقةِ ماءِ المحيَّا[1]



(١) ((الكشكول)) للعاملي (٢/٢٦٨)، والمحيا: الوجه. ((مختار الصحاح)) للرازي (٨٦).



كِتْمَان السِّرِّ



كتمَان السِّرِّ

كتمان السِّرِّ لغةً واصطلاحًا:

• الكتمان لغةً:

الكتمان مصدر كتم، من باب نصر، يقال: كتم الشيء كَتمًا وكِتمانًا: ستره وأخفاه[١].

• الكتمان اصطلاحًا:

الكتمان هو: ستر الحديث[٢].

وقيل: (هو ضبط النفس ضد دوافع التعبير عما يختلج فيها)[٣].

• السِّر لغةً:

السِّرُّ: ما تكتمه وتخفيه، وهو خلاف الإعلان، وجمعه أسرار. والسريرةُ: كالسِّرِّ، والجمع السرائر، وأسْرَرْت الحديث إسرارًا أخفيته[٤].

• السِّر اصطلاحًا:

السِّر هو: الحديث المكتتم في النفس[٥].

الفرق بين الكتمان والسِّرِّ والنَّجوى والاختفاء:

• الفرق بين النَّجوى والسِّرِّ:

(أنَّ النجوى: اسم للكلام الخفي الذي تناجي به صاحبك، كأنَّك

(١) ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٢٦٦)، ((المعجم الوسيط)) (٧٧٦/٢).

(٢) ((المفردات)) للراغب الأصفهاني (ص ٧٠٢).

(٣) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٣٤٣/٢).

(٤) انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٥٦/٤). و((تاج العروس)) للزبيدي (٥/١٢)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢٧٣/١)، ((المعجم الوسيط)) (٤٢٦/١).

(٥) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي (ص ١٩٣).

ترفعه عن غيره، وذلك أنَّ أصل الكلمة الرفعة، ومنه النجوة من الأرض، وسمِّي تكليم الله تعالى موسى عليه السلام مناجاةً؛ لأنَّه كان كلامًا أخفاه عن غيره.

والسِّرُّ: إخفاء الشيء في النفس، ولو اختفى بسترٍ، أو وراء جدارٍ لم يكن سرًّا، ويقال في هذا الكلام سر تشبيهًا بما يخفي في النفس، ويقال: سري عند فلان، تريد ما يخفيه في نفسه من ذلك، ولا يقال: نجواي عنده. وتقول لصاحبك: هذا أُلقيه إليك. تريد المعنى الذي تخفيه في نفسك، والنجوى تتناول جملة ما يتناجى به من الكلام، والسِّر يتناول معنى ذلك، وقد يكون السِّر في غير المعاني مجازًا تقول: فعل هذا سرًّا، وقد أسرَّ الأمر. والنجوى لا تكون إلا كلامًا)[١].

- **الفرق بين الكتمان والإسرار:**

(قيل: المكتوم يختص بالمعاني، كالأسرار والأخبار؛ لأنَّ الكتمان لا يستعمل إلا فيهما.

والمستور يختص بالجثث والأعيان؛ لأنَّ الأصل في السِّر تغطية الشيء بغطاء. ثم استعمل في غيرها تجوزًا)[٢].

- **الفرق بين الكتمان والاختفاء:**

(أن الكتمان هو السكوت عن المعنى، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٥٩] أي: يسكتون عن ذكره.

والإخفاء: يكون في ذلك وفي غيره، والشاهد أنك تقول: أخفيت الدرهم

(١) ((الفروق)) لأبي هلال العسكري (ص٥٣٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص٤٤٨).

في الثوب. ولا تقول: كتمت ذلك. وتقول: كتمت المعنى وأخفيته. فالإخفاء أعمُّ من الكتمان)[1].

كتمان السِّر في الكتاب والسنة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى حكايةً عن كتمان يوسف عليه السلام للرؤيا التي رآها بأمر من أبيه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف: ٥].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرًا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قصَّ عليه ما رأى من هذه الرؤيا، التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا، بحيث يخرُّون له ساجدين إجلالًا، وإكرامًا، واحترامًا، فخشي يعقوب عليه السلام، أن يحدِّث بهذا المنام أحدًا من إخوته فيحسدوه على ذلك، فيبغوا له الغوائل، حسدًا منهم له؛ ولهذا قال له: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف: ٥] أي: يحتالوا لك حيلة يردونك فيها... ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر)[2].

وقال سبحانه في مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨].

---

(١) ((الفروق)) لأبي هلال العسكري (ص٤٤٧).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) (٤/٣٧١).

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إنَّ من أشرِّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها))[١].

قال ابن الجوزي: (المراد بالسرِّ ها هنا: ما يكون من عيوب البدن الباطنة، وذاك كالأمانة فلزم كتمانه)[٢].

- وعن جابر رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة))[٣].

قال المناوي في شرحه لهذا الحديث: (قوله: إذا حدَّث الرجل. أي: الإنسان فذكر الرجل غالبي .الحديث. وفي رواية:أخًا له بحديث. وفي أخرى: إذا حدث رجل رجلًا بحديث ثم التفت. أي: غاب عن المجلس، أو التفت يمينًا وشمالًا، فظهر من حاله بالقرائن أنَّ قصده أن لا يطَّلع على حديثه غير الذي حدَّثه به. فهي. أي: الكلمة التي حدثه بها. أمانة. عند المحدث أودعه إياها، فإن حدَّث بها غيره فقد خالف أمر الله، حيث أدَّى الأمانة إلى غير أهلها، فيكون من الظالمين فيجب عليه كتمها؛ إذ التفاته بمنزلة استكتامه بالنطق، قالوا وهذا من جوامع الكلم، لما في هذا اللفظ الوجيز من الحمل على آداب العشرة، وحسن الصحبة، وكتم السِّر، وحفظ الودِّ، والتحذير من النَّمِيمَة بين الإخوان، المؤدية للشنآن[٤] ما لا يخفى)[٥].

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٢) ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) (٣/١٧٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٥٩)، وأحمد (٣/٣٧٩) (١٥١٠٤). وحسنه الترمذي، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٤٨٦).

(٤) شنأه: أبغضه وتجنبه. ((المعجم الوسيط)) (١/٤٩٥).

(٥) ((فيض القدير)) (١/٣٢٩).

أقوال السلف والعلماء في كتمان السر:

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (سرُّك أسيرك، فإن تكلمت به، صرت أسيره)[١].

- وقال عمرو بن العاص: (عجبت من الرجل يفرُّ من القدر، وهو مواقعه! ويرى القذاة[٢] في عين أخيه، ويدع الجذع في عينه! ويخرج الضغن[٣] من نفس أخيه، ويدع الضغن في نفسه! وما وضعت سرِّي عند أحد فلمته على إفشاءه، وكيف ألومه وقد ضقت به ذراعا؟)[٤].

- وقال أيضًا: (ما وضعت سرِّي عند أحد أفشاه عليَّ فلمته، أنا كنت أضيق به حيث استودعته إياه)[٥].

- وأسرَّ معاوية رضي الله عنه إلى الوليد بن عتبة حديثًا، فقال لأبيه: (يا أبت، إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثًا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به؛ فإنَّ من كتم سرَّه كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: قلت: يا أبت، وإنَّ هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه؟ قال: لا والله يا بني، ولكن أحبُّ أن لا تذلل لسانك بأحاديث السرِّ. فأتيت معاوية رضي الله عنه فحدثته، فقال: يا وليد، أعتقك أخي من رقِّ الخطأ)[٦].

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٣٠٦).
(٢) القذى: ما يقع في العين وما ترمي به، وجمعه أقذاء وقذي، والقذاة الطائفة من القذي. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٧٢/١٥).
(٣) الضغن: الحقد والعداوة والبغضاء. ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير (٩١/٣).
(٤) رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٨٨٦)، والبيهقي في ((القضاء والقدر)) (ص ٣٠٩). وصحح إسناده الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٦٨٥).
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٢١٤).
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٢١٤)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٢٧١/٣٨).

- وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كلُّ امرئ مفتاح سرِّه)[١].

- وعن الحسن رحمه الله، قال: (سمعته يقول: إنَّ من الخيانة أن تحدِّث بسرِّ أخيك)[٢].

- وقال أبو حاتم: (من حصَّن بالكتمان سرَّه تمَّ له تدبيره، وكان له الظفر بما يريد، والسلامة من العيب والضرر، وإن أخطأه التمكن والظفر والحازم يجعل سره في وعاء، ويكتمه عن كل مستودع، فإن اضطره الأمر وغلبه، أودعه العاقل الناصح له؛ لأنَّ السِّر أمانة، وإفشاؤه خيانة، والقلب له وعاؤه، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع، ومنها ما يتسع لما استودع)[٣].

- وقال أيضًا: (الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز، وما كتمه المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه، وكفى لذوي الألباب عبرًا ما جربوا، ومن استودع حديثًا فليستر، ولا يكن مهتاكًا، ولا مشياعًا؛ لأن السِّر إنَّما سمِّي سرًّا؛ لأنَّه لا يفشى، فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسرِّه من صدر غيره، بأن لا يفشيه)[٤].

- وقال: (الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، ومن أنبأ الناس بأسراره هان عليهم وأذاعوها، ومن لم يكتم السِّر استحقَّ الندم، ومن استحق الندم صار ناقص

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٠٨).
(٢) ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (ص ٢١٤).
(٣) ((روضة العقلاء)) (ص ١٨٩).
(٤) ((المصدر السابق)) (ص ١٩٠).

العقل، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل، فتحصين السِّرِّ للعاقل أولى به من التلهُّف بالندم بعد خروجه منه، ولقد أحسن الذي يقول:

خشيت لساني أن يكون خؤونا فأودعته قلبي فكان أمينا

فقلت ليخفى دون شخصي وناظري أيا حركاتي كن في سكونا[(١)]

- وقال ابن الجوزي: (رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرِّهم، فإذا ظهر، عاتبوا من أخبروا به. فوا عجبًا! كيف ضاقوا بحبسه ذرعًا، ثم لاموا من أفشاه؟!)[(٢)].

- وقال الراغب الأصفهاني: (إذاعة السِّر من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال والصبيان والنساء)[(٣)].

فوائد كتمان السر:

١- حفظ الأسرار من علامات المروءَة والنبل.

٢- من أعظم أسباب النصر على الأعداء.

٣- درء مفسدة الحقد والحسد.

٤- تُقَوِّي الصِّلة بين الإخوة.

٥- تُقَوِّي الثقة بين الزوجين[(٤)].

٦- كتمان الأسرار سبب من أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح[(٥)].

٧- كتمان السِّر كرم فِي النَّفس، وسمو فِي الهمة، وَدَلِيل على المروءَة،

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٩١).

(٢) ((صيد الخاطر)) (ص ٢٧٣).

(٣) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٢١٣).

(٤) انظر: ((الرائد..دروس في التربية والدعوة)) لمازن الفريح (ص ٢١٧).

(٥) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٠٦).

وسبب للمحبة، ومبلغ إلى جليل الرتبة[١].

أنواع السر:

قال الراغب الأصفهاني: (السِّرُّ ضربان؛ أحدهما: ما يلقي الإنسان من حديث يستكتم، وذلك إمَّا لفظًا، كقولك لغيرك: اكتم ما أقول لك، وإمَّا حالًا، وهو أن يتحرى القائل حال انفراده فيما يورده، أو يخفض صوته، أو يخفيه عن مجالسيه، ولهذا قيل: إذا حدَّثك الإنسان بحديث فالتفت فهو أمانة.

والثاني: أن يكون حديثًا في نفسك بما تستقبح إشاعته، أو شيئًا تريد فعله، وإلى الأول من ذلك أشار النَّبي بقوله صلى الله عليه وسلم: ((من أتى منكم من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر اللَّه))[٢]، وإلى الثاني أشار من قال: ((من وهن الأمر إعلانه قبل إحكامه))[٣].

وكتمان النوع الأول من الوفاء، ويختص بعامة الناس، والثاني من الحزم والاحتياط، وهو مختص بالملوك وأصحاب السياسات... والسبب في أنَّه يصعب كتمان السِّر هو: أن للإنسان قوتين، آخذة، ومعطية. وكلتاهما تتشوف إلى الفعل المختص بها، ولولا أنَّ اللَّه تعالى وَكَل المعطية بإظهار ما عندها لما أتاك بالأخبار من لم تزوده، فصارت هذه القوَّة تتشوف إلى فعلها الخاص بها، فعلى الإنسان أن يمسكها ولا يطلقها إلى حيث ما يجب إطلاقها، ولا يخدعنَّك عن سرِّك قول من قال: وأكتم السِّر فيه ضربة العنق.

---

(١) ((المروءَة)) لأبي بكر بن المرزبان (ص ١٢٢).

(٢) رواه الحاكم (٤/٢٧٢)، والطحاوي في ((شرح المشكل)) (١/٨٦) (٩١) والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/٥٧٢) (١٧٦٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وحسن إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (١٠٣٠).

(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/٩٨)، ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٦/١٢٦).

وقول من ينشدك:

ويكاتم الأسرار حتى كأنه ليصونها عن أن تمر بباله

فذلك قول من يستنزلك عما في قلبك، فإذا استفزع ما عندك لم يرْعَ فيه حقَّك، فقد قيل: الصبر على القبض على الجمر أيسر، من الصبر على كتمان السر. وما أصدق من أنبأ عن حقيقة حاله حيث قال له صديقه: أريد أن أفشي إليك سرًّا تحفظه عليَّ، فقال، لا أريد أن أوذي قلبي بنجواك، وأجعل صدري خزانة شكواك، فيقلقني ما أقلقك، ويؤرقني ما أرقك، فتبيت بإفشائه مستريحًا، ويبيت قلبي بحرِّه جريحًا)[1].

صور كتمان السر:

لا شك أن الأصل في السِّر كتمانه وعدم إفشائه، ويستثنى من هذا الأصل بعض المجالس التي لا حرمة لأسرارها.

١- كتمان قضاء الحاجات:

من يريد أن يقوم بعمل ما، عليه أن يكتمه وأن لا يحدث به كل أحد حتى يقوم بإكماله.

قال الشاعر:

وإن أردتَ نجاحًا في كل آونةٍ فاكتم أمورك عن حاف ومنتعلِ[2]

٢- كتمان الأسرار الزوجية:

كتمان الأسرار الزوجية من الأمور (التي يجب حفظها وعدم إفشائها...

---

(١) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص ٢١٢).

(٢) ((جواهر الأدب)) لأحمد الهاشمي (٢/٤٣٤).

فهو أولًا: حق المرأة في عدم إفشاء ما يكون منها لزوجها، وهو ثانيًا: حق الآداب الإسلامية العامة التي توصي بستر مثل هذه الأمور، فالمرء مستأمن عليها من جهتين، جهة الآداب الإسلامية، وجهة صاحب الحق الخاص)[١].

فعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها))[٢].

٣- كتمان أسرار الدولة:

لا شك أن الدول تكون لها أسرارها التي لا ينبغي كشفها أو اطلاع أحد عليها، وخاصة الأسرار الحربية، وقد كان النَّبي صلى الله عليه وسلم يكتم الأسرار، ومنها ما يتعلق بالأسرار الحربية والعسكرية، فكان من هديه إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها[٣].

وأرسل سرية بقيادة عبد الرحمن بن جحش ((وكتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به صلى الله عليه وسلم، ولا يستكره من أصحابه أحدًا فلما سار بهم يومين فتح الكتاب، فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، وترصد بها قريشًا، وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر في الكتاب قال: سمعًا وطاعةً، وأخبر أصحابه بما في الكتاب وقال: قد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٣٤٦).

(٢) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٣) رواه الدارمي (٢/٢٨٩)، والطيالسي في ((المسند)) (٢/١٤٩)، والبيهقي (٩/١٥٠)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٤٦٦٢).

أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد)(١).

نماذج في كتمان السر:

- **نماذج من كتمان السِّر في حياة النَّبي صلى الله عليه وسلم:**

- كان للكتمان أثر كبير في مباغتة النَّبي صلى الله عليه وسلم للعدو:

(فبعد شهرين من غزوة أحد بلغ النَّبي صلى الله عليه وسلم أن طليحة وسلمة ابني خويلد يحرضان قومهما بني أسد بن خزيمة، لغزو المدينة المنورة ونهب أموال المسلمين فيها، وقرر النَّبي صلى الله عليه وسلم إرسال جيش من المسلمين، وأمرهم بالسير ليلًا والاستخفاء نهارًا، وسلوك طريق غير مطروقة حتى لا يطلع أحد على أخبارهم ونياتهم، فباغتوا بذلك بني أسد في وقت لا يتوقعونه)(٢).

- وفي غزوة (دومة الجندل) قاد النَّبي صلى الله عليه وسلم ألف راكب وراجل، من المهاجرين والأنصار، لمنع القبائل التي تقطن (دومة الجندل) من قطع الطرق ونهب القوافل، والقضاء على حشودها التي تزمع غزو المدينة المنورة.

وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسلمين من المدينة المنورة يكمن بهم نهارًا ويسير ليلًا، وقد قطع المسلمون المسافة بين المدينة المنورة و(دومة الجندل) فلم يجد المسلمون أحدًا منهم... وعاد المسلمون من (دومة الجندل) بعد أن أقاموا فيها بضعة أيام. إن كتمان نيات المسلمين بالمسير ليلًا هو الذي جعلهم

---

(١) رواه ابن هشام في ((السيرة النبوية)) (٣/١٤٦-١٤٧). قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٣/٢٤٧): [له] شواهد مسندة.

(٢) ((الرسول القائد)) لمحمود شيت (٢٠٣).

ينتصرون على أعدائهم[١].

- وفي غزوة فتح مكة المكرمة بلغ النَّبي صلى الله عليه وسلم في تطبيق عامل الكتمان حد الرَّوعة، حتى ليمكن اعتبار هذه الغزوة مثالًا من أعظم أمثلة التاريخ العسكري في تطبيق الكتمان إلى أبعد الحدود.

وأمر أهله أن يجهزوه، ولكنه لم يخبر أحدًا من المسلمين في الداخل أو الخارج بنياته، وأهدافه من حركته واتجاهها، بل أخفى نياته وأهدافه واتجاه حركته حتى عن أقرب المقربين إليه، ولما اقترب موعد الحركة صرَّح الرسول صلى الله عليه وسلم بأنَّه سائر إلى مكة المكرمة، ولكنه بث عيونه وأرصاده؛ ليحول دون وصول أخبار اتجاه حركته إلى قريش، وبعث حاطب بن أبي بلتعة رسالة أعطاها امرأة متوجهة إلى مكة المكرمة، أخبرهم في تلك الرسالة بنيات المسلمين في التوجه إلى فتح مكة المكرمة[٢]. فعن عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: ((انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجنَّ الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها[٣]، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله

---

(١) ((دروس في الكتمان من الرسول القائد)) لمحمود شيت (ص ٢٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٣١).

(٣) عقاصها: بكسر العين أي شعرها المضفور، وهو جمع عقيصة. ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (٥٦/١٦).

عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل عليَّ إني كنت امرأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة، يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد صدقكم. قال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: إنَّه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))(١).

• نماذج للصحابة في كتمان السِّرِّ:

- روى البخاري عن عبد الله بن عمر، أنَّ عمر رضي الله عنه حين تأيمت بنته حفصة من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرًا، توفي بالمدينة، قال عمر: ((فلقيت عثمان ابن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئًا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك؟ قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت، إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (١٦١).

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لقبلتها))[١].

- وعن عائشة قالت: ((كنَّ أزواج النَّبي صلى الله عليه وسلم عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا، فلما رآها رحَّب بها فقال: مرحبًا بابنتي. ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها، ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرَّه. قالت: فلما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت عزمت عليك بما لي عليك من الحقِّ لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني: أن جبريل كان يعارضه القرآن في كلِّ سنة مرة أو مرتين، وإنَّه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، فقال: يا فاطمة، أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت))[٢].

- وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: ((أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم- وأنا ألعب مع الغلمان- قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة،

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠٥).

(٢) رواه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ. قالت: لا تحدثنَّ بسرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك يا ثابت))[١].

- وكان حذيفة بن اليمان صاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن علقمة قال: (قدمت الشام فصليت ركعتين ، ثم قلت : اللهم يسر لي جليسا صالحا ، فأتيت قوما فجلست إليهم ، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي ، قلت : من هذا ؟ قالوا : أبو الدرداء ، فقلت : إني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحا ، فيسرك لي ، قال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : أو ليس عندكم ابن أم عبد ، صاحب النعلين والوساد والمطهرة ، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان - يعني على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم - أو ليس فيكم صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه أحد غيره؟ -يعني حذيفة ابن اليمان-)[٢].

صفات أمين السرِّ:

ذكر الماوردي بعض الصفات التي يلزم أن تتوفر في الشخص الذي يُؤتمن على السرِّ، فقال:

١- (أن يكون ذا عقل صاد.

٢- ودين حاجز.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٧٤٢).

٣- ونصح مبذول.

٤- وود موفور.

٥- وكتومًا بالطبع.

فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة، وتوجب حفظ الأمانة)[١].

حكم وأمثال في كتمان السر:

- (كن على حفظ سرك، أحرص منك على حقن دمك.

- من وهن الأمور إعلانه قبل إحكامه.

- لا تنكح خاطب سرك.

- كلما كثر خزان الأسرار ازدادت ضياعًا.

- قلوب العقلاء حصون الأسرار.

- انفرد بسرك، ولا تودعه حازمًا فيزل، ولا جاهلًا فيخون)[٢].

- وقيل: أصبرُ النَّاس مَن صبر على كتمان سرِّه، فلم يبده لصديقه.

- الصَّبر على التهاب النار أهون من الصَّبر على كتمان السرِّ[٣].

- صدرك أوسع لسرِّك[٤].

- وكان يقال: الكاتم سرَّه بين إحدى فضيلتين: الظَّفر بحاجته، والسلامة من شرِّ إذاعته[٥].

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٠٨).

(٢) ((التمثيل والمحاضرة)) لأبي منصور الثعالبي (ص ٤٢٠).

(٣) ((مجمع الأمثال)) للميداني (ص ٣٩٦).

(٤) ((محاضرات الأدباء)) للراغب الأصفهاني (ص ١٦٢).

(٥) ((نهاية الأرب)) للنويري (ص ٨٣).

كتمان السِّرِّ في واحة الشعر:

قال: أنس بن أسيد:

ولا تُفشِ سرَّك إلا إليك ... فإنَّ لكلِّ نصيح نصيحًا
فإني رأيتُ وُشاةَ الرجالِ ... لا يتركون أديمًا صحيحًا[1]

وقال علي بن محمد البسامي:

تبيحُ بسرِّك ضيقًا به ... وتبغي لسرِّك مَن يكتمُ
وكتمانُك السِّرَّ ممن تخافُ ... ومَن لا تخافنَّه أحزمُ
إذا ذاع سرُّك من مخبَرٍ ... فأنت وإن لمته ألومُ[2]

وقال آخر:

إذا المرءُ أفشَى سرَّه بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمقُ
إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسِه ... فصدرُ الذي يُستودعُ السِّرَّ أضيقُ[3]

وقال عبد العزيز بن سليمان:

إذا ضاق صدرُ المرءِ عن بعضِ سرِّه ... فألقاه في صدري فصدري أضيقُ
ومَن لامني في أن أُضيِّع سِرَّه ... وضيَّعه قبلي فذو السِّر أخرقُ[4]

وقال الصلتان السعدي:

وسرُّك ما كان عندَ امرئٍ ... وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفِي[5]

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٠٧). وهو مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في ((الصمت)) لابن أبي الدنيا (٤٠٥).

(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٨٨).

(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٠٧).

(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٨٨).

(٥) ((الحيوان)) للجاحظ (٣/٢٣٠).

وقال آخر:

فلا تنطق بسرِّك كلُّ سرٍّ إذا ما جاوز الاثنين فاشي[١]

وقال بعض الشعراء:

ولو قدرتُ على نسيانِ ما اشتملتْ مني الضلوعُ على الأسرارِ والخبرِ

لكنت أولَ من ينسى سرائرَه إذا كنت مِن نشرِها يومًا على خطرِ[٢]

وحكي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السِّرِّ فقال ابنه:

ومستودعي سرًّا تضمنت سرَّه فأودعته من مستقر الحشى قبرًا

ولكنني أخفيه عنِّي كأنني من الدهر يومًا ما أحطتُ به خبرًا

وما السِّرُّ في قلبي كمَيْتٍ بحفرة لأنِّي أرى المدفون ينتظر النشرا[٣]

قال الشاعر:

إنَّ الكريم الذي تبقَى مودَّتُه ويحفظُ السرَّ إن صافى وإن صرما

ليس الكريم الذي إن غاب صاحبُه بثَّ الذي كان مِن أسرارِهِ علما[٤]

وقال آخر:

وكنت إذا استودعت سرًّا كتمته كبَيْضِ أَنُوقٍ لا يُنال لها وكرُ[٥]

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٠٨).
(٢) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (٩٧/١).
(٣) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٣٠٨).
(٤) ((غرر الخصائص الواضحة)) للوطواط (ص ٥٧٢).
(٥) ((مجمع الأمثال)) للميداني (١١٥/١)، والأنوق اسم للرخَمَة، وهي أبعد الطير وَكْرًا.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

